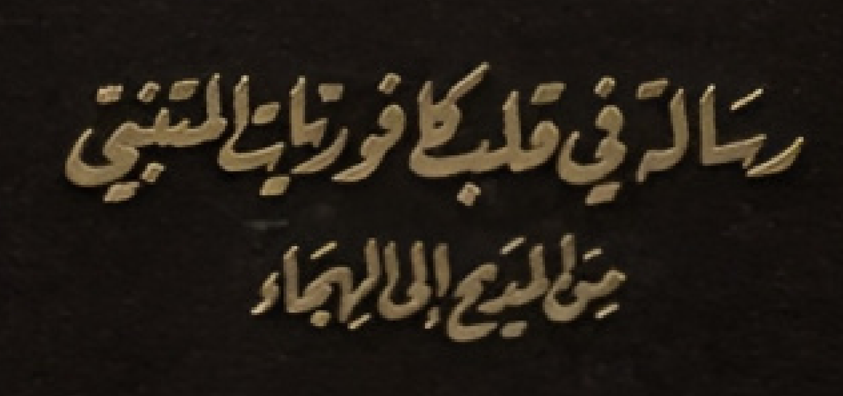


رسالة في قلب كافوريات المتنبي
من المديح إلى الهجاء

تأليف

عبد الرحمن بن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي

تحقيق

الدكتور محمد يوسف نجم

دار صادر

بيروت

رسالة في قلب كافوريات المتنبي

من المديح إلى الهجاء



رسالة في قلب كافوريات المتنبي

من المديح إلى الهجاء

تأليف

عبد الرحمن ابن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي

تحقيق

الدكتور محمد يوسف نجم

دار صادر
بيروت

الطبعة الأولى : بيروت ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م

الطبعة الثانية : بيروت ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م

مقدمة

١ – مؤلف الكتاب :

ولد عبد الرحمن[1] ابن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي سنة ١٠٠٣هـ ، وكان والده حسام زاده من العلماء البارزين في عصره ، فنشأ ابنه على الدراسة والتحصيل ، في مدارس القسطنطينية ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره عندما عين الأب قاضياً في القدس (١٠١٨) فسافر ابنه معه إليها عن طريق البحر إلى مصر ثم إلى القدس ، وهناك أخذ عبد الرحمن الحديث عن الشيخ محمد بن أحمد الدجاني مفتي الشافعية بالقدس الشريف ، وهو أحد من شرح ألفيّة ابن مالك والرحبية[2] ؛ ونظراً لتنقل والد عبد الرحمن في الوظائف من مدينة إلى أخرى كان الابن ينتقل بانتقاله ، فلما عزل حسام زاده عن قضاء القدس وذهب إلى المدينة المنورة كان ابنه أيضاً في صحبته، وعاد الوالد إلى بلاد الروم، فعاد ابنه معه. ومنذ ذلك التاريخ بدأ الابن يتولى بعض المناصب ، فعيـّن مفتشاً للأوقاف . وكان عفيف اليد قائماً بمهمات منصبه خير قيام . وكان إلى جانب ذلك يتقن فن الرمي بالسهام،

---

(١) ترجمة المؤلف في خلاصة الأثر للمحبي ٢ : ٣٥١ ، ونفحة الريحانة للمحبي أيضاً ، وقد أفرده البديعي بترجمة لم يتح لنا الاطلاع عليها .

(٢) ترجمة محمد بن أحمد الدجاني في خلاصة الأثر ٣ : ٣٥٦ (وكانت وفاته سنة ١٠٢٦)

ولهذه المميزات قرّبه السلطان مراد وتعلّم منه فن الرمي . وشمله برعايته ، وولاّه بعض المناصب التدريسية حتى أصبح في النهاية مدرّساً بالمدرسة السليمانية باستنبول ؛ ومنذ ذلك الحين سطع نجمه فولي القضاء بمدينة حلب ، ثم تولى قضاء دمشق (١٠٥١) ثم عاد إلى وطنه معزولاً عن قضائها ، وبقي مدة كذلك ، إلى أن عين قاضياً لدار السلطنة . وفي سنة ١٠٥٤ توفي والده حسام زاده ، ووجه إليه ما بيده من وظيفة وقضاء تأبيداً . وبعد مدة تولى القضاء بعسكر أناطولي (سنة ١٠٥٩) ثم القضاء بولاية الروم (١٠٦٢) ثم مفتياً (سنة ١٠٦٥) . وبعد نحو عام عزل من منصبه هذا وأعطي قضاء القدس ، ثم بدل عن القدس وأعطي قضاء طرابلس الشام ، فأرسل إليها نائباً واستقر بدمشق . ثم عزل عن قضاء طرابلس وأعطي قضاء الجيزة بمصر ، فرحل إليها ، ولقي من علماء مصر كل تعظيم وتقدير ، وكان بيته مجمعاً للفضلاء وطلاب العلم ، حيث كان يدرسهم التفسير . وكان أكثر اهتمامه بالكشاف للزمخشري ، يطالع فيه دائماً ويحفظ أكثر أبحاثه غيباً ، وظلّ في مصر إلى أن توفي سنة ١٠٨١ عن تسعة وسبعين عاماً .

ذلك موجز لسيرته ، يوضح كيف تقلب في المناصب ، وتنقل في البلاد . ولكثرة إقامته في البلاد العربية ، على وجه الخصوص ، زادت شهرته ، ومدحه الشعراء حين عرفوا أنه ذو يد سخيّة ، وتباروا في مدحه . وكان محيطاً بمادة التفسير واللغة العربية ، حتى كان معاصروه يعدونه أشهر المتأخرين من علماء الروم ؛ ولكن لم يكن له طبعٌ في قول الشعر . ولم يورد المحبي من شعره سوى بيتين قالهما في مدح صديقه النجم الحلفاوي ؛ ويذكر المحبي أن أسلوبه في الكتابة كان حسناً « فهو ينثر الدرّ إذا أخذ القلم ، ومن يشابه أبه فما ظلم »[1] . وكان خطّه مضرب المثل في الجودة « فخطّه جار

---

(١) نفحة الريحانة (رقم : ٩٠)

بلا مثال سابق »[1] ؛ ولما هاجر الأمير منجك إلى بلاد الروم بعد أن لحقته فاقة في ديار الشام ، نظم قصيدة في مدح السلطان إبراهيم ، فبيضها له عبد الرحمن ابن الحسام بخطه المدهش وترجمها بالتركية على الهامش[2] .

وكان أثناء إقامته بحلب ثم بدمشق يلتف حوله كثيرٌ من أدباء هاتين المدينتين وشعرائهما ، ومنهم أحمد الشاهيني[3] صاحب المقري مؤلف « نفح الطيب »، ومصطفى بن عثمان البابي[4] والأمير المنجكي المتقدم ذكره ، ويوسف البديعي[5] الذي ألّف باسمه كتابيه : ذكرى حبيب ، والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، وقد ابتدأت الصداقة بينهما أثناء تولي ابن الحسام منصب القضاء بحلب ، فلما انتقل ابن الحسام إلى الشام صحبه البديعي فجعله نائباً في المحكمة العونية ، وقد أكثر هؤلاء الشعراء من مدحه ، ويكاد يكون ديوان المنجكي مقصور المدح عليه ، وابن الحسام هو الذي أشار على والد المحبي صاحب خلاصة الأثر جمع ديوان المنجكي ، فجمع أكثر شعره وعنونه باسم ابن الحسام[6] ويقول المحبي : إنه لو جمعت المدائح التي قيلت فيه وأفردت بالتدوين لجاءت في مجلدة[7] ، ومن هذا يخيل لنا أن ابن الحسام كان يستقطب في عصره حركة شعرية كبيرة ، ولذلك كان من القضاة القلائل الذين ينفق في زمانهم سوق الأدب ويروج سعر الشعر .

ولا نعرف بعد ذلك شيئاً عن شئونه الخاصة : إلا أنه كان له ولد اسمه أسعد ، كان مدرساً بالقسطنطينية ، وتوفي في حياة أبيه ، وورد عليه خبر

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) خلاصة الأثر ٤ : ٤١١ .
(٣) ترجمته في خلاصة الأثر ١ : ٢١٠ .
(٤) انظر خلاصة الأثر ٤ : ٣٧٧ .
(٥) ترجمته في خلاصة الأثر ٤ : ٥١٠ .
(٦) خلاصة الأثر ٢ : ٣٥٦ .
(٧) المصدر السابق : ٣٥٤ .

موته وهو بدمشق ، فحزن عليه كثيراً ، ورثاه الشعراء المتحرمون بفضله .

٢ — كتاب قلب الكافوريات :

لم تذكر المصادر شيئاً من مؤلفات ابن الحسام ، حتى هذا الكتاب الذي قمت بتحقيقه لا ذكر له فيها ، ولم يرد له اسم في إحدى المخطوطات ، وسمي في مخطوطتين آخريين نقلت إحداهما عن الأخرى : « رسالة في قلب كافوريات المتنبي من المديح إلى الهجاء » ، وإذا كانت إحدى المخطوطات الثلاث — كما قدرت[1] — بخط المؤلف نفسه ، فإن ما وصف به خط المؤلف مبالغ فيه ، نعم إنه خط واضح جميل ، ولكنه غير « مدهش » كما يقول المحبي ، ويدل هذا الكتاب أيضاً على أن وصف أسلوبه بالحسن مبالغة أخرى ، فإن اللغة فيه أحياناً مضطربة، والضمائر مختلة ، وقد يسف في الصياغة حتى يبلغ حد الركاكة في بعض المواضع ؛ ومع ذلك فالمؤلف تركي غريب عن اللغة، وفي هذا ما يشفع لقصوره في التعبير. بل إن اهتمامه بالنواحي النقدية على أسس منظمة، رغم انشغاله في شئون الفتوى والقضاء والتفسير ، يزيد من تقديرنا لكتابه ، كما أن اعتماده موضوعاً طريفاً ينحو منحى الابتكار يرفعه على كثير من معاصريه . ولعل انشغال فكره بالمتنبي وشعره إنما كان تتمة لتلك العلاقة التي ربطت بينه وبين البديعي صاحب الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، وهو موقف يدل على أن اهتمام النقد الأدبي بهذا الشاعر الكبير لم ينقطع على مر الزمن .

وتعود النظرية النقدية التي حاول المؤلف أن يبسطها إلى أصل قديم : فبعض أبيات المتنبي — في مدائحه لكافور تصبح — بشيء قليل من التوجيه — هجائية في طابعها ؛ أما النقاد الذين كانوا يكرهون المتنبي ، فقد حملوا

---

(١) انظر الفقرة التالية في الحديث عن المخطوطات

ذلك على جهله بأصول اللياقة في مخاطبة الكبراء ، وأما النقاد الذين كانوا يحبون المتنبي فقد حملوها على خبث دخيل أو رواسب نفسية ، واستكشفوا أن الهجاء فيها كان إمّا عمداً ، بدافع الخبث ، وإما ضرورة نفسية بسبب من تأثير العقل الباطن ، الذي كان يجعل الشاعر مادحاً لكافور في سبيل مآرب معينة وهو في حقيقة الواقع شديد الاستخفاف به. وكان ابن جني في طليعة من وجدوا في تلك الأبيات المعدودات هجاءً مبطناً[1] ، وأيّد ذلك قول المتنبي نفسه :

وشعر مدحت به الكركدن   بين القريض وبين الرقي

وشجّعه المتنبي نفسه على هذا الرأي حين أنشده ابن جني قوله :

وما طربي لما رأيتك بدعة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فإن المتنبي ضحك عندما علق ابن جني على هذا البيت بقوله : «أجعلت الرجل أبا زنة؟» (أي قرداً) وكأن هذا الضحك كان إقراراً منه بأنه كان يقصد إلى ما استكشفه ابن جني . وقد وجدت هذه النظرية قبولاً لدى بعض النقاد الذين خلفوا ابن جني ، فأضاف إليها أبو العلاء المعري بعض إضافات جزئية .

وتناول ابن الحسام هذه النظرية التي تتناول أبياتاً معدودات فتطرف بها إلى أبعد الحدود ، وطورّها بحيث تشمل جميع كافوريات المتنبي ؛ وكان مما شجعه على ذلك ما نقله بعض الشراح عن ابن جني أن المتنبي قال له : لو شئت لقلبت الكافوريات كلها إلى الهجو[2] ، وإذا كان المتنبي قد مات دون أن يحقق هذا الأمر ، وأغفل النقاد (حتى ابن جني نفسه) تحقيق

---

(١) انظر في هذه المسألة كتاب «تاريخ النقد الأدبي عند العرب» : ٢٨١ للدكتور احسان عباس (ط. دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧١)

(٢) مخطوطة ر : الورقة ٢ ب .

ذلك ، فلا بأس على ابن الحسام إذا قام بهذه المحاولة . وبعد قبول هذه المقدمة – أي إمكان قلب جميع المدائح هجواً – أصبحت مهمة ابن الحسام تقوم على أساسين : الأول أن شعر المتنبي في كافور صدر من منبع واحد ، إلا أنه مرّ في طورين : طور الاغماض والابهام والاضمار والتعمية ، وهذا يعني أن المتنبي كان « يظهر » شيئاً و« يبطن » شيئاً آخر ، وعن هذا المعنى الباطني يجب أن يبحث الناقد؛ والثاني طور إظهار المضمر أو طور التصريح . ومن وضع هذين الطورين موضع المقارنة والمعارضة وجد ابن الحسام «مفاتيح الحلّ» لدور التعريض والاضمار ، فكلُّ ما قاله المتنبي في الدور الأول كشف عنه في الدور الثاني إما بتبيان المقصود أو بنقضه. فتسميته له بأبي المسك تسمية للشيء بضده لأنه يعني سواده ونتنه ، ووصفه له « بالأدهم » في قوله :

فدى لأبي المسك الكرام لأنها   سوابق خيل يهتدين بأدهم

إنما يعني أنه يعده من البهائم . وإذا وصفه بأنه « ربى الملك مرضعاً » فمعنى ذلك يومىء إلى أنه عدّه من النساء ، وإذا قال في وصف الفرس « له فضلة عن جسمه في إهابه » لم يكن ذلك وصفاً للفرس وإنما وصف لكافور والفضلة هي مشفره الناتىء ، أو حركة شفتيه عند التكلم . وإذا استعمل كلمة « الليث » في وصفه ، لم يعن الأسد ، لأن من معاني الليث أيضاً « العنكبوت الأسود الذي يصيد الذباب » وهكذا وضع ابن الحسام « المفاتيح » اللازمة للحلّ ، في مقدمة كتابه ، ثم انتقل إلى كافوريات المتنبي فقلب ما فيها من مديح إلى هجاء ، قصيدة إثر قصيدة .

ومن سلك هذا المسلك المتعب فلا بدّ أن يتورّط في عدة أمور يظهر فيها الافتعال في التأويل . ولذلك نجد المؤلف أحياناً يقف عند بعض الأبيات صامتاً لا يقول شيئاً، ونجده في مواضع يختار الرواية الملائمة لتحقيق فكرته ، أو يغير في الرواية عامداً ليصحّ له الاستنتاج ، ويلجأ إلى التمحـّل الكثير في طلب الغوامض الكامنة وراء المعنى الظاهر ، وأحياناً يتخذ من عبارته

الركيكة وسيلة إلى إيهام القارىء عن طريق الغموض ، بأن ما يقصد إلى إثارته من مكامنه شيء عميق يدق على كثير من الأفهام ، وهو في كل ذلك معذور منذ البداية لأنه مطالب بالوحدة والتكامل في نظرية قد تختلّ ، لقيامها على المغالاة .

٣ — نسخ الكتاب :

حصلت من هذا الكتاب على ثلاث نسخ :

(١) نسخة رئيس الكتاب باستنبول رقم ٩٠٨ ورمزها(ر) وتقع في ٦٢ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢١ سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد الكامل ٨ كلمات ، وهي بخط نسخي واضح والشكل فيها جزئي ، وعلى هوامشها تعليقات أدرجتها في حواشي هذه الطبعة ، وأميل إلى الاعتقاد بأن المتن والحواشي بخط المؤلف نفسه . وهي غير مؤرخة .

(٢) نسخة دار الكتب المصرية رقم ٨٩ (ورمزها ك) وهي في ٢٤٤ صفحة مكتوبة بخط نسخي جميل أيضاً ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد ٧ كلمات ، وقد جاء في الورقة الأخيرة منها : « ونقله من نسخة عليها خط مؤلفها في يوم الأربعاء المبارك ثامن عشر ربيع الأول سنة ١١١٣ الفقير يوسف الشهير بابن الوكيل الملوي غفر الله له ولوالديه » .

(٣) نسخة ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية ، رقمها ٥١٤ أدب ، وهي في ٥٦ ورقة ، في كل صفحة من صفحاتها ٢١ سطراً ومعدل الكلمات في السطر ٩ ، وقد نقلت من نسخة بالكتبخانة المصرية (دار الكتب) لثلاث بقين من رجب سنة ١٢٩٧ من الهجرة ؛ ولهذا أهملت الاشارة إليها

في حواشي الكتاب ، لأنها لا تعدو أن تكون صورة أخرى من النسخة (ك) .

وقد قمت أثناء عملي في تحقيق هذه الرسالة بالرجوع إلى شروح ديوان المتنبي ، لتوضيح الاشارات التي يتفق فيها المؤلف مع غيره من الشراح ، وللتثبت من الرواية التي اختارها . وأنا مطمئن إلى أن « قلب الكافوريات » رغم ما فيه من افتعال ، إنما يتسم بطرافة وأصالة في النظرة النقدية ، ولهذا رجوت أن يجد فيه دارسو النقد الذي دار حول المتنبي تتمة لتلك النواة النقدية التي بدأت حول الكافوريات في دور مبكر ، كما رجوت أن يجدوا فيه الطرافة والمتعة معاً ، والله الموفق .

محمد نجم

بيروت في أغسطس (آب) ١٩٧١

رسالة في قلب كافوريات المتنبي

من المديح إلى الهجاء



بسم الله الرحمن الرحيم

يا ربِّ يسِّر ولا تعسِّر

الحمد لله ربّ العباد ، خالق الأَشياء من الأَضداد ، لتكون مرآة لتنزيه الباري عن الأَنداد . والصلاة والسَّلام على أفصح من نطق بالضَّاد ، الشفيع المشفَّع يوم التناد ، وعلى آله الأَمجاد ، وأَصحابه الأَوتاد . ٣

وبعد فهذه عرائس أَبكار الأَفكار ، التي لم يطمثهنَّ[١] إنس قبلهم ولا جان ، ولا حام حولها جياد الأَذهان ، ولم تسمع بمثلها[٢] الآذان ، تميل إليها قلوب فرسان ميدان الذوق والعرفان . ٦

اعلم أنه لا بد من تمهيد مقدّمة تقرّب المعاني التي استخرجتها من كافوريات المتنبي إلى العقول ، ولا يستبعدها الناظرون من الفحول ؛ فنقول : الأَول إن المتنبي ينادي بأَعلى صوته أن شعره الذي أَنشده في كافور كله منسوج على منوال محتمل الضدّين حيث قال : ٩ ١٢

---

١ ك : عرائس أبكار أفكار لم يطمثهن .

٢ ر : بمثله .

وشِعْرٍ مَدَحْتُ بهِ الكَرْكَدَنَّ ‏ ‏ بينَ القَريضِ وبينَ الرُّقَى
فما كانَ ذلكَ مَدْحاً لَهُ ‏ ‏ ولكنَّهُ كانَ هجوَ الوَرى

٣ وكذا قوله :

فَأَصْبَحْتَ[١] مَسْرورًا بما أنا مُنْشِدٌ ‏ ‏ وإنْ كان بالإنْشادِ هَجْوُكَ غالِيا

ومما شجّعني في اقتحام هذا المدحض قوله :

٦ مَدَحْتُ قَوْماً وإنْ عِشْنا نَظمْتُ لهمْ ‏ ‏ قصائِدًامن إناثِ الخَيْلِ والحُصُنِ [٢ب]
تَحتَ العَجاجِ قوافيها مُضَمَّرَةٌ ‏ ‏ إذا تُنوشِدْنَ لم يَدْخُلْنَ في أُذُنِ

ومما شجعني أيضاً ما نقله بعض الشرّاح عن ابن جني أن المتنبي
٩ قال له : لو شئت لقلبت الكافوريات كلها إلى الهجو[٢] . ثم إنه ابتدع فيه اصطلاحاً جديدًا لا يمكن لمن أراد أن يقف على مقاصده المدمجة فيه إلاّ بعد معرفته ؛ مثلاً كلّما يذكر الزيارة في الكافوريات[٣] فإنّه
١٢ يقصد الزيارة التي في قوله :

فلا[٤] زِيارةَ إلاَّ أن تَزورهُمُ ‏ ‏ أَيْدٍ نَشَأْنَ مع المَصْقولَةِ الخُذُمِ

---

١ في الأصل : وأصبحت .
٢ ومما ... الهجو : زيادة في ك .
٣ ك : التي في الكافوريات .
٤ في الأصل : ولا ، والتصحيح من نسخ الديوان وقد صحح روايته فيما بعد .

س ٩ : لو ... الهجو : قال ابن جني في تعليقه على البيت ٤٢ من قصيدته البائية التي ستأتي فيما بعد (رقم ٨) : «وقد كان طوى شعره كثيراً من مديحه على الهجاء وكان يقول : لو شئت لقلبت جميع ما مدحته هجاء به فجعلته هجواً» . اه . وعبارة ابن جني على اضطرابها في النسخة التي لدينا تؤدي هذا المعنى .

ومن اصطلاحه ربّة القرط ، يريد به الكناية عن عَدّه من النساء ، لأَنه قال في إظهار المضمر :

• إنَّ امْرَأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ • ٣

وقال[١] :

لا شيءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ له ذَكَرٌ تَقودُهُ أَمَةٌ لَيْستْ لها رَحِمُ

ثم إنه في المرتبة الثالثة أسقطه من زمرة الرجال والنِّساءِ حيث قال : ٦

من كُلِّ رِخْوِ وِكاءِ البَطْنِ مُنْفَتِقٍ لا في الرِّجالِ ولا النِّسوانِ مَعْدُودُ

ومن اصطلاحه الخَوْد ، لأَنه قال :

وَلِلْخَوْدِ مِنِّي ساعةٌ ثم بَيْنَنا فلاةٌ إلى غيرِ اللِّقاءِ تُجابُ ٩

وقال جامع ديوانه إنه لم يلقه بعدها[٢] .

ومن اصطلاحه[٣] أَبو المسك ، يكني به عن سواده ونتن ريحه ، تسمية الشيء باسم ضده ، كالمفازة والسليم . ومن اصطلاحه أَبو البيضاء ، ضدّ ما في المسك ، وقصد به نكتةً لطيفة . ومن اصطلاحه إطلاق الأَغرّ لقوله : ١٢

---

١ وقال : سقطت من ك .

٢ في النسختين بعد ، والتصحيح من ابن جني ، وهو المقصود بقوله جامع ديوانه .

٣ ومن اصطلاحه : سقطت من ك .

أَغَرَّ بِمَجْدٍ قد شَخَصْنَ وراءَهُ إلى خُلُقٍ رَحْبٍ وخَلْقٍ مُطَهَّمِ

ومن اصطلاحه اللَّيث ، ويقصد به مقاصد من أبدعها أنه قصد به
٣ تشبيهه بالعنكبوت الأَسود الذي يصيد الذُّباب[١] ، كما سنقف عليه .
ومن اصطلاحه إطلاق الدَّهر عليه لقوله :

* لنا عندَ هذا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ *

٦ وفي غيره من المواضع. ومن اصطلاحه الأَدهم ، يريد به عدّه من البهائم [٣آ]
لقوله :

فِدًى لأَبي المِسْكِ الكِرامُ فإنَّها[٢] سَوابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ[٣] بِأَدْهَمِ

٩ ومن اصطلاحه إطلاق السَّحاب عليه . وقصد به لطائف جمة في مواضع
عديدة ، أولًا قال :

أَبا كُلِّ طِيبٍ لا أَبا المِسْكِ وحْدَهُ وَكُلَّ سَحابٍ لا أَخُصُّ الغَوادِيا

١٢ وقال :

---

١ بعدها في ك كلمة مطموسة رسمها «ونيا» .
٢ في النسختين : فإنهم ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٣ في ك : يهتدون .

س ٣ : قال الجاحظ في الحيوان (٥ : ٤١٢) : «ومن العناكب جنس يصيد الذباب صيد الفهود وهو الذي يسمى الليث وله ست عيون وإذا رأى الذباب لطيء بالأرض وسكن أطرافه وإذا وثب لم يخطىء وهو من آفات الذبان ولا يصيد إلا ذبان الناس» . اه

وإني لَنَجْمٌ يَهْتَدي صُحْبَتي بهِ[1] إذا حالَ من دونِ النُّجومِ سحَابُ

وقال :

تَزيدُ عطاياهُ على اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أفواهُ السَّحابِ[2] فَتَنْضُبُ ٣

وسنقف على مقاصده المدْمَجة فيها حين الاندفاع إلى بيانها .

أما مدحه بالعقل حيث يقول[3] :

في جِسْمِ أرْوَعَ صافي العَقْلِ[4] تُضْحِكُهُ ٦
خَلائِقُ النَّاسِ إضْحـاكَ الأعاجِيبِ

فقد زيَّفه بقوله :

إذا ما عَدِمْتَ الأصْلَ والعَقْلَ والنَّدى فما لِحَياةٍ في حَياتِكَ[5] طِيبُ ٩

وقال :

لقد كنتُ أحسَبُ قَبْلَ الخَصِيِّ[6] بِأَنَّ[7] الرُّءوسَ مَقَرُّ النُّهَى
فلَمَّا[8] نَظَرْتُ إلى عَقْلِهِ رَأَيْتُ النُّهى كُلَّها في الخُصَى ١٢

---

١ في الأصل : بي صحبتي ، وهي رواية العكبري ، وقد عدل عنها فيما بعد إلى هذه الرواية .
٢ في العكبري : السماء .
٣ ك : قال .
٤ في ابن جني : صافي الخلق .
٥ في الواحدي : جنابك، وأشار إلى الرواية الأخرى في شرحه البيت .
٦ في ك : النهى، وهو تحريف .
٧ في الواحدي والعكبري : أن .
٨ في الواحدي : ولما .

وأما وصفه بالجود في قوله :

يَجودُ بهِ من يَفْضَحُ الجُودَ جُودُه   وَيَحْمَدُهُ مَن يَفضَحُ الحَمْدَ حَمْدُهُ

٣ أَجمعَ[١] الشرّاح على كون المقصود[٢] منه الهزء ، إلا أنهم لم يذكروا ما ينوّر قصده ، وأنا أذكر لك ذلك ، لأنه قال في جوده :

بِمِصْرَ مُلُوكٌ لهمْ مالَهُ   ولٰكِنَّهُمْ[٣] ما لهمْ هَمُّهُ[٤] [٣ب]

٦ فَأَجْوَدُ مِن جُودِهِمْ بُخْلُهُ   وَأَحْمَد مِن حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ

انظر كيف بيَّن سرّ الجود والحمد ، وقال :

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدي وَجُودُهُمُ   مِنَ اللِّسانِ فلا كانوا ولا الجُودُ

٩ وقال[٥] :

إذا لمْ تُنِطْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلايَةً   فَجودُكَ يَكْسُوني وشُغْلُكَ يَسْلُبُ

وأما وصفه بالكرم[٦] فقد نقضه بقوله :

---

١ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : ومن القرائن الدالة على كون قصده الهجو إيراد البيت في صورة التعليل بقوله :

٭ وما رغبتي في عسجد أستفيده ٭

إذ لو حمل على المدح يبعد حسن ارتباطه بما قبله . اه .

٢ ك : أن المقصود .

٣ في الأصل : ولكنه ، والتصحيح من نسخ الديوان .

٤ ك : ماله .

٥ وقال : سقطت من ك .

٦ ر : بالكرم فيه .

س ٣ : قال ابن جني : «إن هذا مما يمكن قلبه» .

٩

من أيةِ الطُّرْقِ يأْتي مِثْلَكَ[1] الكَرَمُ أَيْنَ المَحاجِمُ يا كافُورُ والجَلَمُ

وقال :

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقَوْمُهُ البِيضُ أَم آباؤه الصِّيدُ ٣

وأما وصفه بالشجاعة حيث قال :

مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفيٍّ أَبيٍّ عالِمٍ حازِمٍ شُجاعٍ جَوادِ

فقد صرَّح في مواضع عديدة بكونه جباناً . أوّلًا قال فيه : ٦

وأَسْوَدَ أَمَّا القَلْبُ منه فَضَيِّقٌ نَخيبٌ وأَمَّا بَطْنُهُ فَرَحِيبُ

وقال[2] :

* وَجُبْناً أَشَخْصاً لُحْتَ لي أَمْ مَخازِيا * ٩

وكذا يُعلم من قوله : «لُحْتَ لي أَم مَخازِيا» ما قصده بقوله :

وما زالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهونَ لي إليكَ فلمَّا لُحْتَ لي لاحَ فَرْدُهُ

وأما وصفه بحسن التدبير في قوله : ١٢

يُدبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ إلى العِراقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فالنُّوبِ[3]

فقد بيَّن ذلك في إظهار المضمر بقوله :

---

١ الواحدي والعكبري : نحوك ، ورواية الأصل هي رواية ابن جني .

٢ وقال : سقطت من ك .

٣ في الأصل : والنوب، والتصحيح من نسخ الديوان .

إنَّ امرأً أَمَةٌ حُبْلَى تُدبِّرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ العَيْنِ مَفْئُودُ

وأما وصفه بكونه ملكاً بقوله : [٤آ]

٣ ولا ملْكَ إلا أنتَ ، والمُلْكُ فَضْلَةٌ كأَنَّكَ نَصْلٌ [١] فيهِ وهو قِراب

قلت فيه : إنه يقول في قلبه وسرّه « لا مَلْك إلا أنت » يشير به إلى كونه عبدًا مملوكاً وما عداه فهم أحرار ، لقوله :

٦ صارَ الخَصِيُّ إمَامَ الآبِقينَ بِها فالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ والعَبْدُ مَعْبودُ

لأن الملك بالكسر المملوك ، وقال الجوهري والفتح أفصح . وأيضاً رمز إلى كون الملك يتيماً لا مالك له ، لأن العبد لا يملك شيئاً ، وأن الملك

٩ مفقود به حيث جعله قِراب النصل وجعل كافور النصل الذي يتداخل قلبه . وأما مدحه بنفاذ حكمه وقضائه بقوله :

وأَنْفَذُ ما تَلْقَاهُ حُكْماً إذا قَضى قَضاءً ملوكُ الأَرضِ منه غِضابُ

١٢ قلت : إنه قصد فيه التعريض إلى جهل من أطاعه وقَبِلَ منه ذلك الحكم الذي يغضب منه عامّة ملوك الأَرض ، مسلمهم وكافرهم ، لأنه قال :

١٥ أنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ ومِنْ عِرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ العَبْدَ على نَفْسِهِ
وَإِنَّمـا يظهـر تحكيمَه لِيُحْكِمَ [٢] الإفسادَ في حِسِّه

---

[١] في ابن جني والواحدي : سيف .
[٢] في العكبري : تحكم .

وأما مدحه بأن قاصده يقتل الفقر حيث قال :

وأَمْضى سِلاحٍ قَلَّدَ المرءُ نَفْسَهُ رجاءُ أَبي المِسْكِ الكَريم وَقَصْدُهُ

فقد بيَّن ما في سرِّه بقوله :

إذا ألجأَ الإنسانَ عَصْرٌ لِحاجَةٍ إلى قَصْدِ كافورٍ فَذاكَ حِمامُهُ

وفي هذا البيت ما يُنَوِّرُ قصده من مطلع قصيدته التي هو[1] قوله :

كَفَى بكَ داءً أن ترى الموْتَ شَافِيا وَحَسْبُ المَنايا أَنْ يَكُنَّ أَمانيا

والرجاء المذكور في البيت السابق مبين في إظهار المضمر بقوله :

تَظُنُّ ابْتِساماتي رَجَــاءً وغِبْطَةً وما أنا إلاَّ ضاحِكٌ مِنْ رَجائِيا[2]

وأما مدحه بسعة الصدر حيث قال :

وأَوْسَعُ ما تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِماءٌ وَطَعْنٌ والأَمام ضِرابُ[3]

[٤ ب] انظر كيف صرّح في إظهار المضمر بضدّه ليُعلم كون مقصوده هزءاً حيث قال :

وَأَسْوَدُ أَمَّا القَلْبُ منه فَضَيِّقٌ نَخيبٌ وأَما بَطْنُهُ فَرَحِيبُ

وأما مدحه بالعفّة في قوله :

---

١ كذا في النسختين .

٢ والرجاء ... رجائيا ، مضببة في ر .

٣ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : وجعل قرينة الهزء في قوله «وخلفه» لأنه كان يمكن له أن يقول «وحوله» . اهـ .

ولا عِفَّةٌ في سَيْفِهِ وسِنانِهِ ولكنَّها في الكَفِّ والفَرْجِ والفمِ

فقد قال في إظهار المضمر :

٣ أسيرُها بينَ أَصنامٍ أُشاهِدُها ولا أُشاهِدُ فيها[1] عِفَّةَ الصنمِ

وأما مدحه بغنى القلب واحتقاره الدنيا بقوله :

وتحتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقارَ مُجَرِّب يَرى كلَّ ما فيها وحاشاكَ فَانِيا

٦ انظر كيف صرّح بضد ذلك حيث قال :

لمن تَطْلُبُ الدُّنْيَا إذا لم تُرِدْ بِها سُرورَ مُحِبٌّ أَو مَساءَةَ مُجْرِمِ
وقد وَصَلَ الْمُهْرُ الذي فوقَ فَخذِهِ مِنِ اسْمِكَ ما في كُلِّ عُنْقٍ ومِعْصَمِ[2]

٩ والعجب من بعض الشرّاح أنه قال : المراد من قوله : «لمن تَطْلُبُ الدُّنْيا» نفس المتنبي بعدما رأى قوله : «وقد وَصَلَ المُهْر الذي فَوْقَ فَخْذِهِ مِن اسْمِكَ .... » مخاطباً لكافور .

١٢ وأما قوله :

وإنَّ مَديحَ النَّاسِ حَقٌّ وباطِلٌ وَمَدْحَكَ حَقٌّ ليسَ فيهِ كِذابُ

قلت : إن مراده منه مدحه على هذا الأُسلوب الذي يحتمل الضدَّين ،

---

١ في النسختين : فيهم .

٢ في العكبري : بيد ومعصم .

س ٩ : قال ابن جني : « كأنه يخاطب نفسه » .

لأنّه قال :

فأَجْوَدُ مِنْ جُودِهِمْ بُخْلُهُ وَأَحْمَدُ مِنْ حَمْدِهِمْ ذَمُّهُ

ولقوله : ٣

ولَوْلا فُضولُ الناسِ جِئْتُكَ مادِحاً بما أنا في سِرِّي به لكَ هاجِيا

[٥ آ] وأما مدحه عصره بقوله :

فَتىً ما سَرَيْنَا في ظُهُورِ جُدُودِنا إلى عَصْرِهِ إلا نُرَجِّي التَّلاقِيا ٦

كيف لا يكون قصده منه الهزء والشكاية من الزمان ، وهو القائل فيه :
ما كُنْتُ أَحْسَبُني أَحْيا[١] إلى زَمَنٍ يُسيءُ بي فيهِ كَلْبٌ وهو مَحْمُودُ

وأما مدحه من أطاعه وعدُّهم من الأُسود في قوله : ٩

وأطاعَ الذي أَطاعَكَ والطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلائِقَ الآسادِ

انظر إلى المعنى الذي أَظهرته فيه لقوله :

وأَنَّ ذا الأَسْوَدَ المَثْقوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذي العَضَاريطُ الرَّعاديدُ ١٢

وكم له من الطعن في من أَطاعه وساعده في الوصول إلى مقام السلطنة ، وأَوجعها قوله :

جازَ الأُلى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ فَعُرِّفوا بكَ أَنَّ الكَلْبَ فَوْقَهُمُ ١٥

---

١ في العكبري : أبقى .

وقوله[١] :

وقد ضَلَّ[٢] قَوْمٌ بِأَصنامِهِمْ وأما بِزِقِّ رياحٍ فــلا

٣ وقوله[٣] :

أغايَةُ الدِّين أنْ تُحفُوا شَوارِبَكُمْ يا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِها الأُمَمُ

وأما مدحه بفعل الجميل حيث قال :

٦ وما كُلُّ هاوٍ لِلجَميلِ بِفاعِلٍ ولا كلُّ[٤] فَعَّالٍ له بِمُتَمِّمِ

انظر ما استخرجته في هذا البيت من لطائف المقاصد ، لأنه قال في إظهار المضمر :

٩ وذاكَ أنَّ الفُحولَ البِيضَ[٥] عاجِزَةٌ عَنِ الجَميلِ فكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ

وأما ما أضافه إلى فعل الجميل من إنبات العزّ بقوله :

وكُلُّ امْرِىءٍ[٦] يُولِي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

١٢ [٥ ب] بعد ما ضمنه التلميح إلى قوله تعالى : ﴿وَالبَلَدُ الطيِّبُ يَخرُجُ

---

١ وقوله : سقطت من ك .

٢ في النسختين : لقد . وفي ابن جني وحده : قوماً وهو تحريف من الناسخ .

٣ وقوله : سقطت من ك .

٤ في النسختين : وما كل .

٥ في ر : فحول البيض .

٦ في النسختين : وإن امرءاً ، وقد عدل عنها فيما بعد إلى هذه الرواية .

نَبَاتُهُ بِإِذنِ رَبِّهِ والذي خَبُثَ لا يَخرُجُ إلا نكِدا (الأعراف : ٥٨) .
قال في إظهار المضمر :

* عن[1] مَنْبِتِ العُشْبِ[2] نَبْغِي مَنْبِتَ الكَرَمِ * ٣

وقال :

حَلَّ في مَنْبِتِ الرَّياحِينِ مِنْها مَنْبِتُ المَكْرُمـاتِ والآلاءِ

والآلاء : شجر حسن المنظر مرّ الطعم . ٦

وأما مدحه بكونه مشكورًا في كل حالة بقوله :

وإنَّكَ لَلْمَشْكورُ في كُلِّ حالَةٍ ولوْ لمْ يَكُنْ إلاَّ البَشاشَةَ رِفْدُهُ[3]

في[4] هذا البيت مقاصد لطيفة ، أولًا : ما في صوغ الكلام على أسلوب ٩
يحتمل أن يكون معنى للمشكور نفي كونه مشكورًا في كل حالة كما
نوّره بقوله بعده :

وَكُلُّ[5] نَوالٍ كانَ أو هوَ كائِنٌ فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِيَ نِدُّهُ ١٢

والثاني : تضمّنه الرمز إلى ما في قوله :

* يُسيءُ بي فيه كَلْبٌ وهو مَحْمودُ *

---

١ في ر ، ك : من .
٢ ك : الغيث ، وقد عدل عن هذه الرواية فيما بعد .
٣ في الأصل : فإنك ... وإن لم يكن ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٤ ك : وفي .
٥ الواحدي : فكل .

من إشعار كونه مضطرًا في إنشاد شيء يكون فيه مدحه أيضاً. والثالث: الإشارة إلى اللعب المخصوص بالسّودان المسمّى بالرِّفد ، فيكون فيه ملاحظة المعنى الذي قال فيه : ٣

ومِثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلادٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدادِ البَواكِيا

وأما مدحه بكون كافور مفرد الدنيا لا يشابهه أحدٌ بقوله :

٦ وما زالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهونَ لي إليكَ فلمَّا لُحْتَ لي لاحَ فَرْدُهُ

فأنا أشرح لك مقاصده من مفردات هذا البيت بحيث إنه لم يبق منه كلمة إلا أنه نوّر قصده منه في إظهار المضمر . أما الاشتباه فقال ٩ فيه : [٦ آ]

تَشَابَهَتِ البَهائِمُ والعِبَدَّى عَلَيْنا والموالي والصَّميمُ

وأما قوله : «فلما لُحْتَ لي » فقد قال فيه :

١٢ * أَشَخْصاً لُحْتَ لي أَم مَخازِيا *

وأما تعرّضه لذكر الدهر فللإشارة إلى قوله :

يَموتُ بهِ غَيْظاً على الدَّهْرِ أَهْلُهُ كما ماتَ غَيْظاً فاتِك وشَبِيبُ

١٥ وأما وصفه بالسّيادة حيث قال :

فَبِهـذا ومِثْلِهِ سُدْتَ يا كا فُورُ واقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ القِيادِ

س ٢ : الرفد : لم أعثر على هذا المعنى لها في المعاجم .

قلت إنه يهزأ به لأنه قال فيه :

سادات ُ كُلِّ أُناسٍ مِنْ نُفُوسِهِمُ   وسادَةُ المُسْلِمينَ الأَعْبُدُ القَزَمُ

وقوله[١] :   ٣

صار الخَصِيُّ إمامَ الآبِقينَ بِها   فالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ والعَبْدُ مَعبودُ

وأما مدحه بالأخلاق في قوله :

وأَخْلاقُ كَافُورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ   وإِنْ لم أَشَأْ تُمْلي عَلَيَّ وأَكْتُبُ[٢]   ٦

فقد قال فيه :

العَبْدُ لا تَفْضُلُ أَخْلاقُهُ   عَنْ[٣] فَرْجِهِ الْمُنْتِنِ أَو ضِرْسِهِ

وأما إطلاق الشمس عليه في قوله :   ٩

تفضحُ الشمْسَ كلما ذَرَّتِ الشمْـ   ـسُ بِشَمْسٍ مُنيرَةٍ سَوْداءِ

بعد ظهور وجه الهزء فيه كالشمس في رابعة النهار ، فقد[٤] زيّفه بقلبه إلى القمر في قوله :   ١٢

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُـــهُ   يُقالُ لهُ أَنْتَ بَـــدْرُ الدُّجى

وأما الرضى الذي أظهره في قوله :

---

١ وقوله : سقطت من ك .
٢ في النسختين : فأكتب .
٣ في النسختين : من ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٤ ر : وقد .

رَضِيتُ بما تَرْضى به لِيَ مِحْنَةً[١] وقُدْتُ إليكَ النَّفْسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ

[٦ب] وإن كان في الدرجة العالية في المواجهة والتصريح بالشكاية ،

٣ ففي إظهار المضمر ضَمٌّ عدم رضاه عن نفسه أيضاً حيث قال :

أُريكَ الرِّضى لو أخْفَتِ النَّفسُ خافيا وما[٢] أنا عن نفسي ولا عنكَ راضِيا

وأما إظهاره العشق لكافور في قوله :

٦ فلوْ[٣] لم تكُنْ في مِصْرَ ماسِرْتُ نَحْوها بِقَلْبِ المَشُوقِ المُسْتَهامِ المُتَيَّمِ

فقد قال فيه :

وما العِشْقُ إلاَّ غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصابُ

٩ وفي هذا البيت ما يرشد الناظر المتأمّل إلى مقاصده في قوله :

بِعَزْمٍ يَسيرُ الجِسْمُ في السَّرْج راكِباً به ويَسيرُ القَلْبُ في الجِسْمِ ماشِيا

وأما ادِّعاءُ السعد له في قوله :

١٢ فإنَّكَ ما مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ وقابلتَه إلاَّ ووجْهُكَ سَعْدُه

وفي قوله :

* عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلانِ *

---

١ في نسخ الديوان : محبة ، وقد احتفظنا بروايته هذه التي انفرد بها لأنه بنى عليها أحكاماً نقدية فيما بعد .

٢ في النسختين : فما .

٣ في النسختين : ولو ، وقد عدل عنها فيما بعد إلى هذه الرواية .

راجع إلى ما قلته فيه[1] لأنه قال :

كأنَّ الأَسْوَدَ اللابيَّ فِيهم غُرابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وبُومُ

وأما مدح هباته بقوله : ٣

فقد تَهَبُ الجَيْشَ الذي جاء غازِياً لِسائِلِكَ الفَرْدِ الذي جاء عافِيا

فقد ناقضه بقوله :

وَهَبْتَ على مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمانِنَا وَنَفْسِي على مِقدارِ كَفَّيْكَ تَطْلُب ٦

ولا تغفل عن لطف قصده في « كفيك »[2] .

وأما إثبات الأَصالة له بقوله :

وَيُغْنِيكَ عمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَناهَى المَكْرُماتُ وتُنْسَبُ ٩

[٧ آ] بعد إجماع الشرّاح على كون قصده منه الإشعار بأن لا أصل له يصلح أن يُنسب إليه ، فقد قال في إظهار المضمر :

إذا ما عَدِمْتَ الأَصلَ والعَقْلَ والنَّدى فمـــا لحياةٍ في حياتِكَ[3] طيبُ ١٢

وأما وصفه بانشراح الصدر من نغمات السؤال بقوله :

كأَنَّ كُلَّ سُؤالٍ في مَسامِعِهِ قَميصُ يُوسُفَ في أَجْفانِ يَعقوبِ

---

١ فيه : سقطت من ك .

٢ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : على أن يكون كفيك من وادي لبيك ويريد من الكف المنع ، إشعاراً لتعجبه من طلب نفسه تلك الزيادة . اه .

٣ في الواحدي : جنابك .

فقد صرّح بضدّه حيث قال :

إذا غَزَتْهُ أعادِيهِ بِمَسْأَلَةٍ فقد غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غيرِ مَغْلوبِ

٣ لأَن الخوارزمي بيّن قصده من هذا البيت . وشرح ما في صدره بقوله :

ولو أَني جُعِلْتُ أَميرَ جَيْشٍ لما حاربْتُ إلاَّ بالسُّؤالِ
لأَنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمونَ منهُ وقد ثَبَتوا لأَطرافِ العَوالي

٦ ولقوله :

وَتَغْضَبونَ على مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حَتَّى يُعاقِبَهُ التَّنْغِيصُ والمِنَنُ

وإن كان مورده في غيره فكافور أحقُّ به .

٩ وأما ادّعاءُ أنَّ من لم يأْت داره فقد فاته غاية الغايات حيث قال :

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دارَكَ غَايَةً وَيَأْتِي فَيَدْري أَنَّ ذٰلِكَ جُهْدُهُ

قلت : إنه قصد في قلبه أن الذي يغترّ بصيتك الكاذب ويظن أنه

١٢ فاته غاية المنى فيقصدك ، فعند وصوله يدري أن الحاصل له ليس إلا تعبه فقط ، لأنه قال في إظهار المضمر :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلامِي قَوَائِلُ لي المجدُ لِلسَّيْفِ ليسَ المجْدُ لِلْقَلَمِ

١٥ مَنِ اقْتَضى بِسِوى الهِنْدِيِّ حاجَتَهُ أَجابَ كُلَّ سُؤالٍ عن هَلٍ بِلَمِ

ولقوله :

س ٤ : ولو أني ... البيتان : لم نعثر عليهما .

[٧ب] فَإِنْ[١] كُنتُ لا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإِنَّني أَفَدْتُ بِلَحْظي مِشْفَرَيْكَ المَلاهِيا

ولقوله :

يا رَجَاءَ العُيونِ في كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يكن غيرَ أَنْ أَراكَ رَجائي ٣
وَلَقَدْ أَفْنَتِ المفاوِزُ خَيْلي قَبلَ أَنْ نَلْتَقي وزَادي ومَائي

انظر إلى تناسق المعاني واتّحاد المباني . فبالجملة إذا تصفّحت الكافوريات جميعاً تراه لم يترك معنى ولا كلمة إلا أنه بيّن وجه الهزء ٦ منه في إظهار المضمر . ولو شئت لأريتك كلها ، ولكن في الحصة التي أظهرتها لك كفاية .

وأما الزيارة في قوله : ٩

ولكنَّ بالفُسْطاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ حَياتي ونُصْحي والهَوى والقَوَافِيا

فمقصودة ، على ما في قلبه ؛ أما الزيارة فقد عرفتها[٢] ، وأما القوافي فهي التي في قوله : ١٢

تَحتَ العَجاجِ قَوافِيها مُضَمَّرَةٌ إذا تُنُوشِدْنَ لم يَدْخُلْنَ في أُذُنِ

وفي هذا المصراع الثاني تصريح بكون مقاصده في غاية الخفاء ولا تدخل في أذن أحد ممن يسمعه . وكذا ما عطفه على «أزرته» قوله : «وجرداً» ، ١٥ ومراده من ذلك «الجرد» ما في قوله :

١ في النسختين : وإن ، وقد عدل عنها فيما بعد إلى هذه الرواية .
٢ في ر : عرفته .

* قَصائِدًا مِن إناثِ الخَيْلِ والحُصُنِ *

وأشار بقوله :

٣ * فَبِتْنَ خِفافاً يَتَّبِعْنَ العَوَالِيا *

[٨ آ]إلى المعنى الذي قصده في قوله :

وأخلاقُ كافورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ وإنْ لم أشَأْ تُمْلي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ[١]

٦ إشعارًا بسهولة انقياد المضامين في هجوه إلى العوالي . وكنى بالعوالي عن أقلامه التي يكتب بها تلك الأبيات .

وأما ادّعاؤه كون كافور بحراً حيث قال :

٩ وبحرُ أَبي المِسْكِ الخِضَمُّ[٢] الذي له على كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وعُبابُ

وكذا في قوله : «ولكنّ بالفسْطاطِ بَحْرًا» ، وكذا في قوله :

وإني لَفي بَحرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُه عَطاياكَ[٣] أَرجو مَدَّها وهيَ مَدُّهُ

١٢ تأمّل معنى هذا البيت فإنّ فيه شرح مقصوده من البحر ، حيث أثبت له الجزر والمدّ ، يريد به استغراقه في عذاب حبسه ، وأنه وقع في هذا البحر طامعاً أن ينال منه خيرًا ، فهذا البحر يجذب ما عنده إليه كما

١٥ أفصح عنه بقوله :

---

١ في النسختين : فأكتب .

٢ في النسختين : الكريم . وفي نسخ الديوان : وبحر أبو المسك، وقد أشار إلى هذه الرواية عزام في طبعته .

٣ في النسختين : عطاياه ، وقد التزم رواية نسخ الديوان فيما بعد .

جَوْعانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادي ويُمْسِكُني لكي يُقالَ عَظيمُ القَدْرِ مَقْصُودُ

وبقوله :

لو كانَ ذا الآكِلُ أَزْوادَنا ضَيْفاً لأَوْسَعْناهُ إحْسانا ٣
لكنَّنا في العَيْنِ أَضْيافُهُ يُوسِعُنا زُورًا وبُهْتَانَـا
فَلَيْتَهُ[١] خَلَّى لنا سُبْلَنا[٢] أعانَـهُ اللهُ وإيَّانَـا

وأما ادعاؤه أن كافور يعطي في نداه المعاليا ، حيث قال : ٦

إذا كَسَبَ النَّاسُ المَعاليَ بالنَّدى فإنَّكَ تُعْطِي في نَداكَ المَعالِيا

قلت فيه[٣] إنه قصد في قلبه الإشارة إلى أن كافور على خلاف الملوك في كسب المعالي بالنَّدى لأنه يسلب عنه [٨ ب] المعالي في نداه ٩ حين يُعطي لقلَّته وندرته لأنه قال :

* يَجُودُ بِه من يَفْضَحُ الجُودَ جُودُهُ *

وقد أجمع الشرَّاح على أن مقصوده منه الهزءُ بجوده ونداه . ١٢

وأما ادعاءُ كونه مجمعَ المعالي والمفاخر بقوله :

يُدِلُّ بِمعنىً واحدٍ كُلُّ فاخِرٍ وقد جَمَعَ الرَّحمٰنُ فيكَ المَعانِيا

---

١ في ك : فليتنا .
٢ رواية الواحدي : طرقنا . وأشار عزام إلى رواية كهذه لابن جني ، ولم نعثر على المقطوعة في نسختنا المصورة من شرح ابن جني .
٣ فيه : سقطت من ك .

س ١٢ : قال ابن جني : « وهذا أيضاً مما يمكن قلبه » . وقد سبق في ص ٨ .

تفطّن الشرّاح على ما في قلبه إلا أنهم لم يصرّحوا بما ينوّره[١] . وذلك في إظهار المضمر مشروح[٢] بقوله :

٣ أَمَيْناً وإخْلافاً وغَدْرًا وخِسَّةً وجُبْناً أَشَخْصاً لُحْتَ لي أَمْ مَخازِيا

ثم إنه أفرده[٣] في تلك الأوصاف التي امتاز بها عن أهل الدّهر حين لاح له فقال :

٦ وما زالَ أهلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهونَ لي إلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لي لاحَ فَرْدُه

وأما ادّعاءُ كونه صادقَ الوعد بقوله :

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قبلَ وَعْـدٍ لأَنَّهُ نَظيرُ فَعالِ الصَّادِقِ القَوْلِ[٤] وَعْدُه

٩ انظر إلى الذي أظهرت مما في قلبه وسرّه فإنه أطنب في التعرّض للهزءِ به في وعده ، أولًا قال :

ما[٥] مَنْ يَرى أَنَّكَ في وَعْدِهِ كَمَنْ يَرى أَنَّكَ في حَبْسِهِ

١٢ وقال :

---

١ ك : نوره .
٢ مشروح : سقطت من ك .
٣ في ك : أفرد .
٤ في النسختين : لأنه ... الصادق الوعد . وقد عدل عنها إلى هذه الرواية فيما بعد .
٥ في ر : يا من .

س ١ : قال ابن جني : «لما وصلت في القراءة إلى هذا البيت ضحكت فضحك أيضاً وعرف غرضي وأنه مما قدمت ذكره» . وقد نقل العكبري عنه ذلك .

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خازِناً وَيَـدًا   أنا الغَنيُّ وأَمْـوالي المَواعِيدُ

وأعجب منه ما واجهه به حيث قال :

ولو كُنْتُ أَدْري كم حَياتي قَسَمْتُها   فَصَيَّرْتُ[1] ثُلْثَيْها انْتِظارَكَ فاعْلَمِ   ٣

[٩ آ] وله في هذا الباب ما لا يُعدّ ولا يُحصى .

وأما ادّعاء[2] أن كافور أوّل ولا يُرى له ثانٍ بقوله :

قَضَى اللهُ يا كافورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ   وليسَ بِقاضٍ أَنْ يُرى لكَ ثاني   ٦

فإنه أبدع فيه ، لأنه ذكر هذا البيت بعد البيت الذي نفى الوفاء عن أهل الزمان قاطبة حيث قال :

وعِنْدَ مَنِ اليَوْمَ الوَفـاءُ لِصاحِبٍ   شَبِيبٌ وَأَوْفى مَنْ تَرى ، أَخَوانِ   ٩

وكنى بقوله «أوفى من ترى» عن كافور لكون الغالب في النفوس حسن الظنّ بنفسه في الصفات الجميلة .

وأما مدحه بطيب الرّيح في قوله :   ١٢

لا تُنْكِرِ العَقْلَ مِنْ دَارٍ تَكُونُ بِها   فإِنَّ ريحَكَ رُوحٌ في مَغانِيها

أما العقل فقد علمت ما قال فيه . وأما الرّيح فإنه قال في إظهار المضمر :   ١٥

---

[1] في الواحدي والعكبري : وصيرت .
[2] ك : ادعاؤه .

وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ   وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ

وقال :

٣ ما يَقْبِضُ الموتُ نَفْساً مِنْ نُفوسِهِمُ   إلاَّ وفي يَدِهِ مِنْ نَتْنِها[١] عود

وبعد ما يرى الناظر أمثاله كيف لا يهتدي إلى كونه هزءًا .

وأما الضحك الذي في قوله :

٦ وَأَلْقى الفَمَ الضحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ   قَريبٌ بذي الكَفِّ المُفَدَّاةِ عَهْدُهُ

فقد زيّفه بقوله في إظهار المضمر :

وماذا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكاتِ   ولٰكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالبُكا

٩ [٩ ب] وأما ادّعاء[٢] أنه في عشيرة بقوله :

أَنا اليومَ مِن غِلمانِهِ في عَشيرَةٍ   لَنا والدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ

جعل فيه قرينة الهزء عدَّه كافور والدًا لهم وهو خصيّ . وقال :

١٢ بِمَ التَّعَلُّلُ لا أَهْلٌ ولا وَطَنُ   ولا نَديمٌ ولا كَأْسٌ ولا سَكَنُ

وأما ادّعاء[٣] كون كافور خيرَ مُيَمَّم في قوله :

فِراقٌ ومَن فارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمِ   وَأَمٌّ[٤] ومَن يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ

---

١ في النسختين : نتنه ، وقد عدل عنها فيما بعد .

٢ ك : ادعاؤه .

٣ ك : ادعاؤه .

٤ في النسختين : ويم .

قلت : معناه ، على ما في قلبه ، أنه يشير إلى عزمه على الفراق منه وأنه بين الفراق والأمّ[١] .

وللهِ سَيْري ما أَقَلَّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقيَّ الحَدالى وغُرَّبُ ٣

ويجعل قوله : «ومن فارقت غير مذمم» وقوله : «ومن يممت خير ميمَّم» استفهامَ إنكارٍ إظهاراً لعدم رؤيته منهم إحساناً يقيِّده . كما قال : ٦

ولا أعاشِرُ مِنْ أَمْلاكِهِمْ أَحَدًا إلاَّ أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثَنِ

ولقوله :

وإنْ بُليتُ بِوُدٍّ مثلِ وُدِّكُمُ فإنَّني بِفِراقٍ مثلِه[٢] قَمِنُ ٩

وأما ادّعاءُ[٣] أنه ربّى الملك بالإرضاع في قوله :

وأَنْتَ الَّذي رَبَّيْتَ ذا المُلْكِ مُرْضِعاً وَلَيْسَ له أُمٌّ سِواك[٤] ولا أَبُ

قلت : إن معناه على ما في قلبه الرمز إلى عَدِّه من النساء ، وإلى كون الملك يتيماً لا أب له ولا أُمَّ له[٥] . أما عدُّه من النساء فمبيَّن في إظهار المضمر بأبيات منها قوله : ١٢

لا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ له ذَكَرٌ تَقودُهُ أَمَةٌ لَيستْ لَها رَحِمُ ١٥

---

١ في النسختين : واليم .
٢ رواية ابن جني : منكم .
٣ ك : ادعاؤه .
٤ العكبري : هناك .
٥ له : سقطت من ك .

وقوله فيه : [١٠ آ]

إنَّ امرءًا أَمَةٌ حُبْلى تُدَبِّرُه لَمُسْتَضامٌ سَخينُ العَيْنِ مَفْئُودُ

٣ ثم إنه نزَّله عن رتبة النساء حيث قال :

مِنْ كُلِّ رِخْوِ وِكاءِ البَطْنِ مُنْفَتِقٍ لا في الرِّجالِ ولا النِّسوانِ مَعْدودُ

وأَما إشارته إلى كون الملك يتيماً من الجانبين فذاك[1] في قوله :

٦ ولا مَلْكَ إلا أَنتَ ، والمُلْكُ فَضْلةٌ كأَنَّكَ نَصلٌ[2] فيه وهو قراب

كما أشرت إليه .

أَما ادّعاءُ كونه مستغرقاً في بحر الهمام بقوله :

٩ عِندَ الهُمامِ أَبي المِسْكِ الذي غَرِقَتْ في جُودِهِ مُضَرُ الحَمْراءُ وَاليَمَنُ

معناه في سرّه الرمز إلى كونه محبوساً عنده مأْيوساً من النجاة منه كالغريق . وكذا سائر ما ذكر فيه البحر ، لأَنه يقول :

١٢ إنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمُ عن القِرى وعن التَّرْحالِ مَحْدودُ

ولقوله في قصيدته الميمية التي كلُّها في الشكاية عنه :

فَأُمْسِكَ لا يُطالُ لهُ فَيَرْعَى ولا هوَ في العَليقِ ولا اللُّجامِ

١٥ فكأَنه قصد في هذا التلميح إلى قول الشاعر :

---

١ فذاك : سقطت من ك .

٢ في ابن جني والواحدي : سيف .

* هذا على الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ *

وأما إظهارُه الرغبة في المقام عنده بقوله :

وما كنتُ لولا أنتَ إلاَّ مُهاجِرًا لهُ كلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وصِحابُ ٣
ولٰكِنَّكَ الدُّنيا إليَّ حَبيبَةٌ فما عَنْكَ لي إلا إليكَ إيابُ

قلت : معناه ، على ما في قلبه ، إخبارٌ عن كونه في حبسه في البيت الأَول ، وأشار بالبيت الثاني إلى استيلاء كافور على أَقطار الأَرض ، ٦ وأن الهارب منه لا ينجو بل يُرَدُّ إليه ، مع الرمز إلى أن الواصل إليه[١] من عطاياه يرجع إليه ، كما قال :

[١٠ ب] * فَجُودُكَ يَكْسُوني وشُغْلُكَ يَسْلُبُ »* ٩

وقوله :

* ... أرجو مَدَّها وهي مَدَّهُ *

وقوله : ١٢

* لَوْ كانَ ذا الآكِلُ أَزْوادَنا *

وقوله :

١ إليه : سقطت من ك .

س ١ : صدر بيت للمتلمس ، عجزه : وذا يشج فلا يرثي له أحد . ديوان المتلمس (تحقيق الصيرفي) ص ٢١١ .

* جَوْعانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُني *

وأما تضجّره من المقام عنده فقد بيّنه في إظهار المضمر بقوله :

٣ أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فلا وَرائي تَخُبُّ بِيَ الرِّكابُ[١] ولا أمامي
ألا يا ليتَ شعرَ يَدي أَتُمْسي تَصَرَّفُ في عِنانٍ أَوْ زِمامِ
فَرُبَّتما شَفَيْتُ غَليلَ صَدْري بِسَيْرٍ[٢] أَو قَناةٍ أَوْ حُسامِ

٦ وأما مدحه ثوبه الذي المجد فيه بقوله :

إنَّ في ثَوْبِكَ الذي المجدُ فيهِ لَضِياءً يُزْري بِكُلِّ ضِياءِ

معناه على ما في قلبه : أولاً الإشارة إلى كون المجد مستوراً به وبالضياء
٩ الذي يزري بكل ضياء من جهة خسّة الشركاء في اللمعان من الزيت ،
لأنه فسَّر كل ذلك في إظهار المضمر . أما الثوب فبقوله :

وَيُذْكِرُني تَخْطيطُ[٣] كَعْبِكَ شَقَّهُ ومَشْيُكَ في ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عارِيَا

١٢ وصرَّح بكون المراد من الثوب جلده بقوله بعده :

إنَّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وٱبْيِضاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِن ٱبْيِضاضِ القَباءِ[٤]

وأما وصفه بالفضل وأنه هو[٥] الذي يقود إليه طاعة الناس بقوله :

١ ابن جني والعكبري : المطي .
٢ في الأصل : بسيف ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٣ الواحدي والعكبري : تخييط ، وأشار عزام إلى هذه الرواية في طبعته .
٤ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : وتأمل ما فيه من التعريض بظلمة باطنه أيضاً . اهـ .
٥ ك : وهو أنه .

يَقودُ إليهِ طاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ   وإنْ لَمْ[1] يَقُدْها نائِلٌ وعِقابُ

اعلم أولاً أن المتنبي كلما يذكر الفضل له يريد به مشفره الذي قال فيه :

وأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُـهُ   يُقالُ لهُ أنتَ بَدْرُ الدُّجى   ٣

كما أشرت إليه[2] . [١١آ] انظر كيف أثبت له قَدْحَ من أطاعه مع ذلك الوصف . ثم تأمّل كيف سلب عنه النائل والقدرة على العقاب لأن مدار انقياد الناس إما الإحسان وإما الخشية من العقاب . وتلاعبه بمشفره كثير ؛ منه قوله :   ٦

له فَضْلَةٌ عن جِسْمِهِ في[3] إهابِهِ   تَجِيءُ على صَدْرٍ رَحيبٍ وتَذْهَبُ

كنى به عن حركة شفتيه عند التكلم لأنه قال متصلاً به :   ٩

* وما الخَيْلُ إلا كالصَّديقِ قَليلَةٌ *

وكذا قال فيه[4] :

فإنْ[5] كُنتُ لا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإِنَّني   أَفَدْتُ بِلَحْظي مِشْفَرَيْكَ المَلاهِيا   ١٢

وأما ما قال في عطاياه :

---

١ في نسخ الديوان : «ولو لم» وقد اعتمد عزام رواية المؤلف هذه .

٢ كما أشرت إليه : سقطت من ك .

٣ في ر : في جسمه من إهابه ؛ وفي ك : من جسمه من إهابه . ورواية ابن جني في النسخة التي لدينا : في جسمه في إهابه .

٤ فيه : سقطت من ك .

٥ في النسختين : وإن .

تَزِيدُ عَطاياهُ على اللَّبْثِ كَثْرَةً   وَتَلْبَثُ أمواهُ السَّحابِ[1] فَتَنْضَبُ

ضمَّن البيت ما يصلح أن يكون التشبيه المضمر في تناسب التضادّ
٣ فيكون مدحاً ، وأن يكون في المشاركة فيكون هجوًا . وجعل قرينة
كونِ قصدِهِ الهجوَ أنه اعتبر ذلك في السَّحاب . وقد علمتَ اصطلاحه
في السَّحاب ، فإنه كلما يذكر السحاب في كافورياته يريد به كافوراً
٦ لظلمته وحيلولته بين الشمس[2] ، كما ستقف عليه في موارده . ومن
قرائنه أنه قال متصلاً به :

* أبا المِسْكِ هل في الكأْسِ فَضْلٌ أنالُهُ *

٩ وأما ادّعاءُ كون كافور حبيباً له في مواضع ، منها قوله :

أَنتَ الحَبيبُ ولكنِّي أَعُوذُ بِهِ   مِن أَنْ أكونَ مُحبًّا غيرَ مَحبوبِ

انظر إلى حذق الرجل فإنه صاغ البيت على أُسلوب يحتمل أن تصرف
١٢ الاستعاذة بالحبيب ، فيكون مدحاً ، وأن تصرف الاستعاذة [١١ ب]
بالله فيكون هجوًا ، على معنى : أنت الحبيب لمن أطاعك من السُّفهاء
ولكني أعوذ بالله من أن أكون محبّاً لشخص هو غير محبوب عند
١٥ الله[3] وعند العقلاء .

ثم إنه ما أبقى معنىً من المعاني التي أوردها في مدائحه ، إلا أنه

---

١ في العكبري : السماء .
٢ بين الشمس : سقطت من ك .
٣ ك : الله تعالى .

صرّح في إظهار المضمر بضدّه . ولا كلمة من كلمات المدح[١] إلا أنه تعرَّض بتنوير قصده . وها أنا ذكرت لك منها حصّةً فيها الكفاية ، بل فتحت لك طريقاً يصل سالكه إلى النهاية . وكأني بك بعدما استجليت ما أظهرتُ لك[٢] ، واستحليت ما قدمته إليك ، أراك تستبعد كون ذلك مدحاً ،اللهم إلا أن تقدح زناد فكرك في قلبه إلى المديح قدحاً ،[٣] والله أعلم بالصواب[٤] .

١ الكلام في ك مضطرب هنا .
٢ ك : ما أظهرت .
٣ إلى المديح قدحاً : سقطت من ك .
٤ والله أعلم بالصواب : سقطت من ك .

(١) *

[٥٤ب] وقال بمصر يمدح كافور الإخشيدي في جمادى الأُولى سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

٣ ١ كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الموتَ شَافِيا وَحَسْبُ المَنايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

يخاطب نفسه وتندّمه على قصده كافور مضمِّناً كلامه أنَّ رؤيته كرؤية الموت بعينه . وهذا القصد بيَّنه في إظهار المضمر بقوله :

٦ إذا أَلجأَ الإنسانَ عصرٌ لحاجةٍ إلى قصْدِ كافورٍ فذاكَ حِمامُه

وهذه الرؤية هي التي قال فيها :

* لم يَكُنْ غيرَ أَنْ أراكَ رَجَائِي *

٩ أَراد به الإخبار عن كون نتيجة آماله رؤيته فقط ، كما بيَّنه في إظهار

---

* موضع هذه القصيدة في النسختين في آخر الرسالة ، وقد آثرنا تقديمها لاتفاق المصادر على أنها من أولى قصائده فيه ، حفاظاً على الترتيب التاريخي الذي التزمه المؤلف في إيراد مدائحه .

س ١ : في ك : وقال يمدحه في جمادى الأولى سنة ٣٤٦ ؛ وفي الواحدي ، والمعري – كما ذكر عزام – أنه قالها في جمادى الآخرة .

المضمر بقوله[١] :

فإنْ[٢] كُنتُ لا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإِنَّني أَفَدْتُ بِلَحْظي مِشْفَرَيْكَ المَلاهِيا

وأما قصده في المصراع الثاني فمبيّن في إظهار المضمر بقوله : ٣

وعندها لَذَّ طَعْمَ الموتِ شاربُه إنَّ المنيَّة عِند الذُّلِّ قِنْديدُ

بإرجاع الضمير في «عندها» إلى كافور بِعَدِّه من النساء [٥٥ آ] كما
تقف عليه عند المراجعة . ٦

ولقد جرى بيني وبين واحد من الأُدباء وأنا بالشام سنة اثنتين
وخمسين وألف مطارحة لطيفة لا بأس بذكرها هٰهنا[٣] . وذلك أنه
قال : عجباً من المتنبي كيف غفل عن رعاية حسن المطلع خصوصاً ٩
في مدح الملوك حتى أنشد هذا في مواجهة كافور . فقلت له : وهل
يَخفى مثلُه على مثلِه وهو أوحد الشعراء ومفرد الأُدباء . وإنما قصد به
رعاية مقتضى الحال . كما يقال : لكل مقام مقال . وذلك لِتَنْبيه[٤] ١٢
نُقَّاد عصره بل كل حذَّاق دهره على أن هذا الممدوح مغفَّل ليس عنده
قدرة التمييز بين المدح والذم ، وأنه مستحق لمثله مع إفادة كمال
تضجّره وندمه على قصده . ١٥

---

١ بقوله : سقطت من ك .
٢ في النسختين : وإن .
٣ ك : هنا
٤ ك : لينبه .

وللمتنبي[١] في الكافوريات مقاصد دقيقة حتى إنه التزم فيها أن يبني أبياته كلَّها على قاعدة محتمل الضدَّين كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

٢ تَمَنَّيْتَها لما تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقاً فأَعْيى أو عَدُوًّا مُداجِيا

البيت فيه تفسير وبيان لوقت[٢] كون المنايا أمانياً ، وما كان سبباً لذلك التمنِّي ، وذلك عند تمنِّيه أن يرى صديقاً فأعياه أو يرى عدواً مداجياً . وعنى بالعدوِّ المداجي كافور[٣] . وجعل قرينة وصفه بالمداجي الذي أصْلُ مادته الظلمة كأنه يخبر عن عروض ذلك التمني عندما عنَّ له قصد كافور .

٣ إذا كُنْتَ تَرْضى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فلا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسامَ اليَمانِيا

البيت ضمَّنه التحمّس ليظهر بما في باطنه أنه في ذلٍّ عند كافور ، وهو ممن لا يرتضيه ، وعنده ما ينفي الذلَّ عن نفسه . وهذا الذلُّ هو [٥٥ ب] الذي قال فيه :

* إنَّ المَنِيَّةَ عند الذُلِّ قِنْدِيدُ *

وقال :

ولا أُقيمُ على مالٍ أَذِلُّ بِهِ ولا أَلَذُّ بما عِرْضي بِهِ دَرِنُ

---

١ ك : وله .
٢ ك : لوقف .
٣ ك : كافوراً .

٤ ولا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّماحَ لِغارَةٍ ولا تَسْتَجِيدَنَّ[١] العِتاقَ المذاكِيا

البيت ضمَّنه ما يؤكد عدم رضاه أن يعيش بذلَّة وهو يملك من أسباب دفع الذلِّ طريقين : الأول التشبُّث إلى رماح الغارة وترك كلِّ حاجة إلى أطراف القنا . والثاني ما وجده أنفع مالٍ كان يدَّخره للوفاء عند وقوعه في الشدَّة ، وذلك «العتاقَ المَذاكِيا»[٢] . كأنه يشجع نفسه ويذكر لها التخيير بين الحراب والفرار من كافور .

٥ فما يَنْفَعُ الأُسْدَ الحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى ولا تُتَّقى حتَّى تكونَ ضَوارِيا

البيت ضمَّنه بيان ما ابتُلِيَ به عند كافور من أنواع المحن إلى حدّ لا يجد عنده ما يُشبعه . فمن جوعه أخذ يحثُّ نفسه على الوقاحة مع كافور لاستخلاص ما يتقوَّتُ به ، وأنه أيضاً لا يمكن إلا بأن يكون طالبه مفترساً غير مكترث من حشمته ، كما قال في إظهار المضمر :

مَنِ اقْتَضَى بِسِوى الهِنْديِّ حاجَتَهُ أجابَ كلَّ سؤالٍ عن هَلٍ بِلَم

ومنه قول ابن الرومي :

لا لأَجل المَديح بَلْ خِيفةَ الهجوِ أَخَذْنا جوائز الخُلفاء

١ في النسختين : تستجدن .
٢ ك : العتاق المذاكي .

س ١٤ : لم أجد بيت ابن الرومي هذا في مخطوطات ديوانه .

٦ حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ من نَأَى[١]
وقد كانَ غَدَّارًا فكُنْ لِيَ وافِيا[٢]

١ البيت ضمَّنه ما هو كالتصريح بأنه يعاتب قلبه في حبِّ كافور الذي كان في غاية البعد منه ، وصار سبباً لاقتحام شدائد الطريق في الوصول إليه . وهذا القلب هو الذي قال فيه من غير [٥٦ آ] شك :

٦ وما العِشْقُ إلاَّ غِرَّةٌ وَطَماعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصابُ

وأفاد بالمصراع الثاني ظهور كافور خلاف ما يتوقعه منه ، وذلك كونه غدارًا فيأمل من قلبه الوفاء فيما عزم عليه من النجاة من حبسه
٩ وتذليله :

٧ وَأَعْلَمُ أَنَّ البَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فُؤادي إنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيا

في البيت مقاصد لطيفة : أولاً ضمَّنه الإخبار عن أجمل خصال
١٢ قلبه ، وهو التألُّم من فراق من يصحبه . وإن بالغ في أذيَّته ولو بلغ مرتبة ما قاساه من كافور . فأخذ ينصحه ويخوِّفه بالتبرّي منه إن رآه شاكياً من فراقه . وثانياً ذكر فيه ما يدلُّ على أن مراده من البَيْن مفارقة كافور .
١٥ وثالثاً أنه جعل هذا البين دائرًا بين كافور وبين سيف الدولة ، والمخصِّص إنشاده عند كافور وما أفاده قوله : «أعلم» و«بعده»

---

١ ابن جني : من مضى .
٢ الواحدي والعكبري : أنت وافيا .

و «إن رأيتك» [١] الدالَّة كلها على ما سيكون في المستقبل .

٨ فإنَّ دُموعَ العَيْنِ غُدْرٌ بِرَبِّها إذا كُنَّ إثْرَ الغَادرينَ جَوارِيا

البيت ضمَّنه علَّة التبرِّي منه ، وذلك لأَن التأَلم من فراق الغادرين والبكاء لهم غدر بي يشعر بعدم الوفاءِ لصاحبه ، بل بالوفاءِ لمن غَدْرُهُ بي . وكون قصده من الغادرين كافور مبيَّن في إظهار المضمر بقوله :

أَعْدَدْتُ لِلْغادِرينَ أَسْيافا أَجْدَعُ [٢] مِنْهُمْ بِهِنَّ آنافا

وكذا في قوله :

* أَمَيْناً وإِخْلافاً وغَدْرًا وخِسَّةً *

٩ إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأَذى فلا الحَمْدُ مَكْسُوباً ولا المالُ باقِيا

البيت فيه تستُّر بصرف معناه إلى سيفِ الدولة . ومعناه على ما في قلبه [٥٦ ب] إعلام كافور ما في عطاياه من الأَذى . أَولاً : أَشار بالخلاص إلى أَن عطاياه تحت أَذيَّة انتظار المواعيد . خلاف ما قيل : أَهنأ البِرِّ عاجله ، وأَن جوده في الظاهر من اللِّسان لا من اليد كما قال في إظهار المضمر :

جُودُ الرِّجالِ مِنَ الأَيْدي وَجُودُهُمُ مِنَ اللِّسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

١٠ وَلِلنَّفْسِ أَخْلاقٌ تَدُلُّ على الفَتى أَكانَ سَخاءً ما أَتى أَمْ تَساخِيا

---

١ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : إن رأيتك يعني قوله إن رأيتك على صفة الاستقبال . اه

٢ ابن جني : أقطع .

البيت ضمَّنه إظهار تفرّسه من أخلاق كافور ؛ أن كل ما يصدر عنه في صورة السَّخاءِ تكلُّف لا يصدر طبعاً ، وأنَّه بمعزل من السَّخاء ٣ والكرم ، وفيه ما يؤكد الأوّل .

١١ أَقِلَّ آشْتِياقاً أَيُّها القَلْبُ رُبَّما رَأَيْتُكَ تُصْفِي[1] الوُدَّ من ليسَ جازِيا

البيت ظاهره في سيف الدولة ، أورده تستُّرًا ، وباطنه في كافور ٦ بقرينة «ربما» المفيد في «رأيتك» ما يقرِّبه إلى معنى أراك .

١٢ خُلِقْتُ أَلوفاً لو رَحَلْتُ[2] إلى الصِّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القَلْبِ بَاكِيا

البيت ضمَّنه الإخبار عن خصلةٍ ممدوحةٍ في جبلَّته ، وذلك كونه ٩ مجبولاً على الوفاءِ مع ما فيه من الإيماءِ إلى قوله :

* وَأَعْلَمُ أَنَّ البَيْنَ يُشْكِيكَ بَعْدَهُ *

ولا يخلو تخصُّص مفارقة الشيب بالبكاءِ من الإيماءِ إلى ما اكتسبه من ١٢ ابتلائه الهمَّ والغمّ عند كافور كما بيَّنه بقوله :

* مُنىً كُنَّ لي أَنَّ البَياضَ خِضَابُ *

١٣ ولكنَّ بالفُسْطاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ حَيَاتي ونُصْحي والهَوَى والقَوَافِيا

١٥ البيت مدخل لمدح كافور على ما التزمه من إدماج الذمِّ ، لأن الزيارة ، على اصطلاحه ، زيارة السيوف أو ما يقوم مقامها [٥٧ آ]

---

١ ابن جني : تجزي .

٢ في النسختين : رجعت .

من الهجو . وأما زيارة السيف فقد قال فيه :

ولا زِيارَةَ إلا أنْ تَزُورَهُمُ أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ المَصْقولَةِ الخُذُمِ

أي السيوف القواطع . وأما ما يقوم مقامها[1] فبما قاله : ٣

أَعْدَدْتُ لِلغادِرينَ أَسْيافا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بِهِنَّ آنافَا[2]

وقال :

أَعَدْتُ على مَخْصاهُ ثم تَرَكْتُهُ يُتَبِّعُ مِنّي الشَّمسَ وهيَ تَغِيبُ ٦

١٤ وجُرْدًا مَدَدْنا بينَ آذانِها القَنا فَبِتْنَ خِفافاً يَتَّبِعْنَ العَوالِيا

يقول : وأزرته جردًا ، يريد بالجرد المضامين المجرَّدة التي أدمجها في مدائحه . وكنَّى بمدِّ القنا بين آذانهنَّ توجيه قلمه إلى تحريكها ٩ للظهور . وأفاد بالمصراع الثاني سهولة انقياد المعاني المطلوبة في هجائه إلى أقلامه ، يلمح به إلى قوله :

* وَأَخْلاقُ كَافُورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ * ١٢

وأما « الجرد » فمبيّن[3] بقوله :

مدَحْتُ قَوْماً وإنْ عِشْنا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصائِدًا مِن إناثِ الخَيْلِ والحُصُنِ

والقرينة الدالَّة على هذا القصد عطفه « جردًا » على مفعول «أزرته » ١٥

---

١ ر : مقامه .
٢ أسقط العجز في ك . ورواية ابن جني كما ذكرنا آنفاً : أقطع .
٣ ك : فبينه .

لأَن زيارة الجرد مما لا عهد له لا في النظم ولا في النَّثر .

١٥ تَماشى بأَيْدٍ كُلَّما وَافَتِ الصَّفا نَقَشْنَ به صَدْرَ البُزاةِ حَوافِيا

ظاهره مدح للجرد بصلابة الحافر مع تضمين سقوط نِعالها وامّحائها في طريق الوصول إليه . وباطنه إخبار عن كمال تأْثير هجوياته حتى في الصخرة الصمَّاءِ ، يريد به كافور[١] . وأَنَّه مما لا يقبل الامّحاء لشدَّة تأْثيره ، فصار كالخَلْقِيِّ لا يتغيَّر أَصلًا .

١٦ ويَنْظُرْنَ مِنْ سُودٍ صَوادِقَ في الدُّجَى يَرَيْنَ بَعيـداتِ الشُّخوصِ كما هِيا

[٥٧ ب] في ظاهره أَيضاً ما يدلُّ على الهزءِ بكافور على معنى أَن[٢] تلك الجرد ينظرن في الدّجى فيرين بعيداتِ الشخوص على حقيقتها ، كنايةً عن معرفة خيله حقيقة كافور من مكان بعيد ، فإذا كان خيوله على هذه الصّفة ، فما بالك بمعرفة صاحبها . واما على الشَّيءِ الآخر فقد قصد «بالسُّود الصوادق» حروف تلك القصائد وأنها صادقة في إظهار ما في حقيقة ذلك الشخص ليس فيه كذب ولا افتراءُ .

١٧ وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الخَفِيِّ سَوَامِعاً[٣] يَخَلْنَ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَاجِيَا

ظاهره[٤] مدح سامِعَة خيله . كما أَن الأَول مدح حاسّته الباصرة .

---

١ ك : كافوراً .
٢ ك : على أن معنى .
٣ في النسختين : سامعاً .
٤ ك : فظاهره .

وعلى الشيء الثاني يبيّن[١] سرعة إجابة المضامين المطلوبة[٢] في هجوه ، كما قال :

تَحتَ العَجاجِ قَوافيها مُضَمَّرَةٌ   إذا تُنُوشِدْنَ لم يَدْخُلْنَ في أُذُنِ   ٣

١٨ تُجاذِبُ فُرْسانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً   كأَنَّ على الأَعْناقِ مِنْها أفاعِيَا

البيت ضمَّنه إعلام شدَّة عزم تلك الجرد على غارة كافور ، بقرينة ذكر «فرسان الصَّباحِ» ، وأن مبادرتها لها أكثر من راكبها ، يعني المضامين الهجائية .   ٦

١٩ بِعَزْمٍ يَسيرُ الجِسْمُ في السَّرْجِ راكِباً   به ويَسيرُ القَلْبُ في الجسْمِ ماشِيا

البيت فيه ما يؤكِّد الأَول من نهاية الشوق إلى الغارة مع راكبها الذي عزمه أشدّ من عشق تلك الجرد .   ٩

٢٠ قَواصِدَ كَافُورٍ تَوارِكَ غَيْرِهِ   وَمَن قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيا

«قواصد» منصوب على أنه حال من الجرد ، وضمَّن الكلام ما يدلُّ على أَن قصد كافور وترك سيف الدولة الذي هَجَرَه من أشنع [٥٨ آ] القبائح .   ١٢

٢١ فَجاءَتْ بِنَا[٣] إنْسانَ عَيْنِ زَمانِهِ   وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَها وَمَآقِيا   ١٥

البيت ضمَّنه ما يُلوِّح إلى كون ذلك خطأً ، وإنْ حَسَّنه في الظاهر

---

١ ك : يعين .

٢ المطلوبة : سقطت من ك .

٣ في النسختين : به .

بجعل كافور إنسانَ عيْن الزمان[١] ، كنايةً به عن سواده . وفي ضمن سبك البيت ما يدلُّ على أنه لم يهجُ سيف الدّولة .

٣ ٢٢ نَجُوزُ عَلَيْهَا المُحْسِنِينَ إلى الَّذي   نَرى عِنْدَهُمْ إحْسانَهُ[٢] والأَيادِيا

فيه ما يشير إلى أنه تجاوز المحسنين إلى قوم يرى عندهم إحسانه ، يعني لم تزرهم تلك الجرد . وكذا في قوله : «وخلَّت بياضاً خلفها»
٦ يعني سيف الدولة .

٢٣ فَتىً ما سَرَيْنَا في ظُهورِ جُدُودِنا   إلى عَصْرِهِ إلا نُرَجِّي التَّلاقِيا

لمَّا لاح له مما في البيت الذي قبله الإخبار عن جوازه المحسنين إلى
٩ أن يصل للذي يحسن إليهم ، فكأنَّه ذكَّره أن سيره في ظهور أجداده أيضاً إنما كان لأَجل التلاقي مع كافور . إلا أنَّه ضمَّنه الإشارة إلى كثرة تعبه وطول مدة سفره . وأما ما قصده بقوله : «إلى عصره»
١٢ من إيهام التضييق عليه فمما لا ينكر حسن موقعه . وكون مراده الهزء يُعلم من أمرين : الأَول الإغراق في سيره ، وجُعِلت نتيجةالسَّير مجردَ التلاقي فقط . والثّاني، هو الذي في قلبه، فمبيِّن[٣] في إظهار
١٥ المضمر بقوله :

ما كُنْتُ أَحْسَبُني أَحْيَا إلى زَمَنٍ   يُسيءُ بي فيه كَلْبٌ وهو مَحْمُودُ

---

١ ك : إنسان كافور عين الزمان .
٢ في النسختين : إحسانهم .
٣ ك : شين ، وهو تحريف .

وقال فيه :

وِمثْلُكَ يُؤْتَى مِنْ بِلادٍ بَعِيــدَةٍ   لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الحِدادِ البَواكِيا

[٥٨ ب] ومما قال فيه :   ٣

* لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَراكَ رَجَائي *

٢٤ تَرَفَّعَ عن عُوْنِ المَكَارِمِ قَدْرُهُ   فَمَا يَفْعَلُ الفَعْلاتِ إلاَّ عَذَارِيا

قال ابن جنيّ : وهذا مما ينقلب هجاء . الظاهر أنَّه اعتبره من جهة   ٦
عدوله عن المعروف إلى المبْتَكر . والذي لاح لي فيه أنه يعرّض بكونه[١]
خصيّاً لا يقدر على الافتضاض مع كمال حرصه ، بقرينة ذكر العُونِ
والفَعْلات والعذاري ، كلها من قبيل مراعاة النظير فتدلُّ على ما قلته .   ٩
لأَنَّ الخصيان متَّهمون بالسُّحاق ولا يتمّ لهم أَمر إتمام الفحول . ولا
تغفل عن لطف قصده من قوله «الفَعْلات» لأَنه مستعمل في قبيح
الأَفعال ، ولذلك قال فرعون حين أَراد تعيير موسى عليه السلام ﴿وَفَعَلْتَ   ١٢
فَعْلَتَكَ التي فَعَلْتَ﴾ (الشعراء ١٩) ومما يؤيد هذا القصد قوله :

---

١ بكونه : سقطت من ك .

س ٦ : قال ابن جني تعليقاً على هذا البيت : «وهذا أيضاً ما كنت قدمت ذكره أنه يجوز أن ينقلب هجاء وكأنه يوجه على هذا إلى أنه ترفع عن المكارم هزءاً به . ثم قال ما يفعل الفعلات ، والفعلات تكون في المكارم وتكون أيضاً في المخازي فكأنه قال ما يأتي من المقابح إلا ما لم يسبق إليه . ألا ترى أنه صرح بتركه المكارم وأبهم ما يأتيه فهو يحتمل أمرين ، فهذا وجه الهجاء» . اه .

وما كُلُّ هَاوٍ لِلْجَميلِ بِفاعِلٍ ولا[1] كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

٢٥ يُبيدُ عَدَاواتِ البُغاةِ بِلُطْفِهِ فَإِنْ[2] لم تُبَدْ مِنْهُم أبادَ الأعَادِيَا

٣ يقول في قلبه : إن كافور[3] يشتّت عداوات سؤاله بمواعيده الكاذبة وإن لم تزل عنهم لوعة الطلب وألحّوا عليه[4] يهلكهم كما قال :

* وَتَغْضَبُونَ على مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ *

٦ والبغاة في اللغة كالعلم للسُّؤَّال .

٢٦ أبَا المِسْكِ ذا الوَجْهُ الذي كُنْتُ تائِقاً
إليهِ وذَا الوَقْتُ الذي كُنْتَ رَاجِيا

٩ قال المعري : يقول كنتُ مُشْتاقاً إلى وجهك راجياً لهذا الوقت فقصدتك فافعلْ أنت ما يليق بك . وهذا بالهزء أقرب وأولى مع قبح كافور وسواد وجهه . قلت : نعم . حُسْنُ وجه هذا [٥٩ آ] ظاهر
١٢ وله مقاصد أغرب منه . وذلك أنه يقول ، من كمال تضجّره منه وندمه على قصده : أنا الذي جنيت على نفسي حيث صار عاقبة رجائي مشاهدة هذا الوجه القبيح ، ومشاهدة شخص شيمته إهلاك سُؤَّاله ، يريد ذلك
١٥ بقوله :

---

١ في النسختين : وما كل .
٢ في النسختين : وإن .
٣ ك : كافوراً .
٤ ك : عليهم .

* وذا الوَقْتُ الذي كُنْتُ راجِيَا *

يعني وقت تحقّق أنّ من شيمته إبادة سُؤّاله إذا ألحّوا عليه ، ففيه ما ضمّنه قوله :

يا رَجاءَ العُيونِ في كُلِّ أَرْضٍ لم يَكُنْ غيرَ أنْ أَراكَ رَجائي

ولا يخلو بيت القصيد من تضمّنه التعجب عن صيرورة عاقبة رجائه تلك المصائب ، مع ما يلوّح إلى أنه مستحق لذلك لتسبّبه بقصده في وقوعه بشبكته كما قال :

رَضِيتُ بما تَرْضى به لِيَ مِحْنَةً[1] وقُدْتُ إليكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسَلِّمِ

٢٧ لَقِيتُ المَرُورى والشَّناخيبَ دُونَه وَجُبْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الماءَ صَادِيَا

البيت ضمّنه إعلام ما قاساه في طريق الوصول إليه صارفاً وجه الكلام إلى صديق له يخبره ذلك ويتحسّر على ما قاساه في قصده .

٢٨ أبا كُلِّ طِيبٍ لا أبا المِسْكِ وَحْدَهُ وَكُلِّ سَحابٍ لا أَخُصُّ الغَوادِيَا

البيت ضمّنه التلاعب بكنيته بذكر شيءٍ وإرادة ضدّه هزءًا . وجعل قرينته عدم التناسب بين المصراعين . وله اصطلاح في تشبيه كافور بالسّحاب يكني به عن سواده . ولا يبعد أنه قصد أيضاً هٰهنا ما في المسك من نوع الشبه . وكيف لا يقصد به التلاعب وقد قال في

---

[1] في نسخ الديوان : محبة . وقد علقنا على هذه الرواية في هامش ص ١٨ .

إظهار المضمر لبيان رائحته عدة أبيات منها قوله : [٥٩ ب]

لا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْساً مِنْ نُفوسِهِمِ   إلاَّ وفي يَدِهِ مِنْ نَتْنِها[1] عُودُ

٣ ٢٩ يُدِلُّ بِمَعْنىً واحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ   وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمٰنُ فِيكَ المَعانِيَا

قال المعري : وهذا مما ينقلب هجاء ، وقال ، نقلًا عن ابن جني ، إنه قال : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت وضحك هو أيضاً وعرف

٦ غرضي وهو أنه قصد به الهجاء . والذي يظهر لي بعد هذا أنّه عنى بالمعاني ما قاله في إظهار المضمر :

أمَيْناً وإخْلافاً وغَدْرًا وَخِسَّةً   وجُبْناً أشَخْصاً لُحْتَ لي أمْ مَخازِيا

٩ ٣٠ إذا كَسَبَ النَّاسُ المَعالِيَ بالنَّدَى   فَإنَّكَ تُعْطِي في نَدَاكَ المَعالِيا

يقول في قلبه : إن الناس قاطبة يكسبون المفاخر والمعالي بالندى وأنت تسلبها عنك بأن تعطي شزرًا قليلًا ساقطاً عن جاهك ، مع بسطة

١٢ يدك وسعة ملكك كما قال :

* يَجُودُ بهِ مَنْ يَفْضَحُ الجُودَ جُودُهُ *

والقرينة التي ركّبها ألفاظ البيت[2] إضافة كسب المعالي إلى عامّة الناس

١٥ في ضمن الندى ، ثم ذكر ما يدلُّ على عدوله عن طريقتهم .

٣١ وَغَيْرُ كَثِيرٍ أنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ   فَيَرْجِعَ مَلْكاً لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا

---

١ في النسختين : نتنه .

٢ في ك : سقطت الظاء من الكلمة الأولى وسقطت الكلمة الثانية بتمامها .

س ٥ : ولما وصلت ... : انظر هامش ص ٢٤ .

البيت فيه ما يؤكد ما قلته في البيت الذي قبله لأن الواو حالية ، فيكون معناه على ما في قلبه : إنك تعطي قليلًا يسلب عنك شأن السلطنة ، والحال أنك في القدرة على هذه المرتبة ، ليكون أدخل في تقبيح صَنيعه ٣ وأوجع في ذمّه بالخسّة [٦٠ آ] والدناءة . ولا يبعد أنه عنى بالزائر الراجل نفسه ، يشير به إلى ما في باطنه من توقُّع توليته سلطنة بغداد كما قال : ٦

إذا لَمْ تُنِطْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلايَةً فَجُودُكَ يَكْسوني وشُغْلُكَ يَسْلُبُ

٣٢ فَقَدْ تَهَبُ الجَيْشَ الذي جاءَ غازِياً لِسَائِلِكَ الفَرْدِ الذي جاءَ عَافِيا

البيت ضمَّنه أبدع أنواع الهزء ؛ أولًا : جعل هِبَتَه في شيءٍ يمتنع ٩ عادة من وجهين : الأول كونها من قبيل هبة الطير في السماء ، والثاني بعده عن العقول أيضاً لأن هبة جيش عظيم جاء لغزاة[١] سلطان مثله لسائل واحد ، يُعدُّ من أعظم أنواع السَّفاهة . والبيت الذي عَقِبَه كأنَّه ١٢ تولَّد منه إلاَّ أنه ضمَّنه مقاصد دقيقة .

٣٣ وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كُلَّ ما فِيها ، وَحَاشاكَ ، فَانِيَا

بنى أساس البيت على قواعد التعريض بكمال شحّه في صورة ما ١٥ يدلُّ على كمال جوده . وذلك أنه يقول في قلبه : إنك تستحقر المال الذي جمعته وتستقلُّه ، وتظنُّ أنك تخلد في الدنيا وينفد ما جمعته فتموت جوعاً ، وكأنَّكَ جرَّبته وتحقَّق عندك ذلك . ففي كلامه التلميح ١٨

---

١ في ك : لأن هبته جيشاً عظيماً جاء لغزاً .

إلى قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، الَّذي جَمَعَ مالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ الآية (الهُمَزة ١ ـ ٣) .

٣ ٣٤ وما كُنْتَ مِمَّنْ أدرَكَ المُلْكَ بالمُنى   ولكنْ بأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا

في هذه المواجهة ما يدلُّ على ترشيح ضغائنه بحيث لا يتمالك كتمه لامتلائه من مُدهِشات أفعاله وأحواله . لأنّ معناه على ما في قلبه استبعاد
٦ ما شاهد عليه من الشحِّ والخسَّة ، وهو ممن وصل [٦٠ ب] إلى شيءٍ عظيم ليس في الدنيا أعظم منه ، وهو الملك والسلطنة ، من غير أن يخطر بباله ولا يرى عنده اللِّياقة له . فكان الواجب عليه أن يبذل
٩ جهده لأداءِ شكره بكمال الجود والسَّخاء ، وأنت تبذل جهدك في ضدِّه . ثم أشار بالمصراع الثاني إلى أن كون مثله سلطاناً يستعبد الأحرار ليس إلا بمساعدة أيام عدَّها الله سبحانه وتعالى من أيام القيامة حيث قال :
١٢ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً﴾ (المزَّمِّل ١٧) وهذا مما لا شكَّ فيه أصلًا .

٣٥ عِدَاكَ تَرَاهَا في البِلادِ مَسَاعِياً   وأَنْتَ تَراهَا في السَّماءِ مَرَاقِيَا

١٥ البيت ضمَّنَه ما يؤكد الذي قبله مع تضمينه إفادة استبعادِ وصوله إلى السلطنة ، وأن المسافة بينه وبين السلطنة كما بين السماءِ والأرض ، بضمّ إعلام كافور أنَّ له أعداء كثيرة وصلوا إلى الملك من طريق
١٨ الإمكان . وأما ظنُّ كافور في وصوله إليها فمن قبيل الأمانيّ في المحال أو من فلتات الأيام .

٣٦ لَبِسْتَ لَها كُدْرَ العَجاجِ كأنَّما
تَرى غَيْرَ صَافٍ أنْ تَرى الجَوَّ صافِيا

بعد ما أثبت له الوصول إليه في السَّماء أخذ يتلاعب بجلده ولونه ٣
بإلباسه كدر العجاج يَكْني به عن سواد جلده لقوله فيه : «إنَّما
الجِلْدُ مَلْبَسٌ» . ولا تغفل عن دقَّة ما لاحظه في ذلك من تضمينه
الكلام أنه لبس كدر العجاج في تحصيل السلطنة التي رآها في السماء ٦
مراقيا . ثم ما أفاده من إيهام أنه يُعادي صفوة الجوّ[1] لكونه من أضداده
وجعل محطَّ الفائدة الحرب مع الجو .

٣٧ وَقُدْتَ إلَيْهَا كُلَّ أجْرَدَ سَابِحٍ يُؤدِّيكَ غَضْباناً وَيثْنِيكَ رَاضِيَا ٩

[٦١ آ] البيت ضمَّنه على ما في قلبه التعريض بكونه جباناً بما
في المصراع الثاني ، فإنَّه أثبت له الغضب عند الكرّ والتقريب إلى صفّ
المحاربين ، والرِّضا عند ما يثنيه عنه ويبعده منه . مع إفادة إيهام أنه ١٢
عاجز عن التصرّف في عنان فرسه ، وأن ما يشاهد من الكرّ والفرّ ليس
إلا من مركوبه لا منه . ولا تغفل عن حسن موقع «قُدْت» الذي هو من
أفعال العبيد والسُّيَّاس . ١٥

٣٨ وَمُخْتَرِطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِرًا
وَيَعْصي إذا اسْتَثْنَيْتَ أوْ صِرْتَ[2] ناهِيا

---

١ ك : الجد .
٢ ابن جني والمكبري : كنت .

ومخترط عطف على ما قبله بإضمار ، أي وقدت إليها كل مخترط .
وضمَّن البيت ما يؤكد عدم استقلاله في تصرّف كل ما قاد إليه مع
٣ إيهام أنه ظالم سفَّاك مطبوع على الفساد والشر مسلوب الترحُّم حتى
سرى ما في طبعه إلى سيفه وصارت شيمته شيمته .

٣٩ وَأَسْمَرَ ذي عِشْرِينَ تَرْضاهُ وَارِدًا   وَيَرْضاكَ في إيرادِهِ الخَيْلَ سَاقِيا

٦ ضمَّن عنوان البيت ما يدلُّ على جبنه ، لأَن الرمح الطويل الخارج
عن حدّ الاعتدال لا يستعمله إلا من كان جباناً ، تمهيدًا لما لاحظه في
البيت من أظرف المقاصد ، لأَنَّه قيَّد رضا كل واحد من الآخر بقيد
٩ يشير به إلى معنى دقيق ، وذلك كون المعنى أنك تستعمل الرمح الطويل
وترضاه واردًا لما فيه ما يصونك من إرهاب عدوّك ، وهو لا يرضاك
لأَنك لست من رجاله ، ويرضاك حين إيرادك به الخيل للسَّقي ، لأَنك
١٢ حينئذٍ أتيت ما هو من شأْنك وما يليق بك من سقي المواشي .

٤٠ كَتَائِبُ ما انْفَكَّتْ تَجُوسُ عَمائِرًا   مِنَ الأَرْضِ قد جَاسَتْ إليها فَيَافِيا

[٦١ ب] البيت ضمَّنه ما يدلُّ على نحوسته في صورة إثبات
١٥ الشجاعة لعسكره ، لأَن معناه أن عسكره كانوا يتقلَّبون في العمران
فالآن قد صارت حالهم التقلُّب في الفيافي بلاقعَ ، فقلَّما يصلون إلى
عمران يجدون فيها ما تتقوَّتُ به نفوسهم وخيولهم .

١٨ ٤١ غَزَوْتَ بِها دُورَ المُلوكِ فَبَاشَرَتْ   سَنابِكُها هَامَاتِهِمْ وَالمَغَانِيَا

البيت ظاهره قهر ملوك الأَطراف واستيلاء يده على رقابهم وبلادهم

وأماكنهم ، وباطنه تخريب العالم واستئصال ملوك الإسلام بشؤمه ومكره .

٤٢ وأنْتَ الذي تَغْشى الأَسِنَّةَ أوَّلا وَتَأْنَفُ أنْ تَغْشى الأَسِنَّةَ ثَانِيَا ٣

قصد به الرمز إلى ما يُتَّهم به الخصيان ، وجعل قرينته ذكر الغشيان كنايةً به عن القُعودِ عليها . وكنى بالأَسنة عما يُسْتَهجن ذكره .

٤٣ إذا الهِنْدُ سَوَّتْ[1] بَيْنَ سَيْفَيْ كَرِيهَةٍ
فَسَيْفُكَ في كَفٍّ يُزِيلُ التَّسَاوِيَا ٦

البيت على وزن قوله :

إذا ضربتْ في الحَرْبِ بالسَّيْفِ[2] كَفُّهُ تَبَيَّنْتَ[3] أنَّ السَّيْفَ بالكَفِّ يَضْرِبُ ٩

إلا أنه تلاعب في كل واحد منهما بوجهٍ مما يدلُّ على جبنه . أمَّا في بيت هذه القصيدة فبادِّعاء زوال التساوي بينهما في كفٍّ من الأكف

٤٤ ومِنْ قَوْلِ سَامٍ لو رآكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أخي نَسْلي[4] ونَفْسي ومَالِيَا ١٢

البيت يحتمل وجوهاً : الأول أنه جعل ذلك الفداء تحت الشرطيَّة ، وهي : «لو رآك لنسله»[5] ، فيكون معناه : لو رآكَ لائِقاً لنسله .

---

١ في ر : ساوت ، وقد عدل عنها فيما بعد .

٢ العكبري : بالسيف في الحرب .

٣ ابن جني : تيقنت .

٤ ك : سام .

٥ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : وكون اللام معنى في قوله تعالى : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» . اهـ.

[٦٢ آ] ويحتمل أن يكون قصده من الشرطيّة تعليق رؤيته بالمُحال ، فما عُلِّق بالمُحال مُحال[١] . ويحتمل أن يكون قصد[٢] أنه لو رآه في ٣ نسله لتبرّأ من تلك الأشياء جميعاً بالإعراض عنها .

٤٥ مَدىً بَلَّغَ الأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ   وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إلا التَنَاهِيا

يقول في قلبه : إن الله جلَّ ذكره بلَّغ كافورًا أقصى ما يمكن ، ٦ وهو غاية الغايات التي ليس وراءها شأْوٌ تَسْتَشْرِف إليه النفوس[٣] . وله نفس لم ترْضَ ولم تقنع بذلك وتطلب التناهي ، ففيه تضليله وتجهيله ووصفه بالطمع الزائد والغفلة عن التوجّه إلى أداء شكره . ٩ والبيت من وادي قوله :

حتَّى أصابَ مِنَ الدُّنْيا نِهايَتَها   وهَمُّهُ في ابْتِداءاتٍ وَتَشْبِيبِ

إلا أنه زاد في هذا ما يدلُّ على أنه غير راضٍ عمَّن منَّ عليه بهذه ١٢ النعمة الجليلة التي هي السلطنة . وليس وراءها ما يوازيها من الأُمور الدنياويّة ، وهو عبد مردود بفلسين .

٤٦ دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إلى المَجْدِ والعُلَى   وقد خالفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيا

١٥ يقول في قلبه : إن هذه النفس الظلوم الجهول[٤] دعته أي أمرته

---

١ ويحتمل ... محال : سقطت من ك .
٢ ك : قصده .
٣ ك : تتشوف النفوس إليه .
٤ ك : الظلومة الجهولة .

وسوَّلت له طلب الرياسة والسلطنة فأَجابها مسارِعاً ، والحال أَنَّ النَّاس خالفوا نفوسهم الداعية إليها ، يعني أَنهم تقاعدت هممهم عن ذلك وأَسقطوا حقَّهم له وساعدوه فأَصبح يرونه فوقهم يستعبدهم . ولهذا ٣
القصد ربط الشريطة[1] [٦٢ ب] على ما قبلها بالفاء التفريعية فقال :

٤٧ فَأَصْبَحَ فَوْقَ العَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وإِنْ كانَ يُدْنِيهِ التَّكَرُّمُ نَائِيَا

يقول في قلبه : إنهم لما أَسقطوا حقهم له وساعدوه في طَلِبَتِهِ أَصبح ٦
كافور قد علا عليهم وصاروا مقهورين تحت يده وذلَّت رقابهم له كما قال في هذا المعنى بعينه :

أَجْفَلَ النَّاسُ عن طريق أَبي المِسْـ لكِ وذلَّت لهُ رقابُ العِبادِ ٩

ثم قال : وإن كان ما يظهر لهم من التكلُّف في الكرم يقرِّبه إلى السلطنة وهو بعيد عن ذلك بعد السماء من الأَرض .

---

١ ك : الشرطية .

(٢)

وبنى الأسود دارًا بإزاء الجامع على البركة وتحوّل إليها وهنّأه النّاس بها وطالب أبا الطيب بذكرها فقال له :

٣ ١ إنّما التّهْنِئاتُ لِلأَكِفّاء وَلِمَنْ يَدَّني مِنَ البُعَدَاءِ

٢ وأنا مِنكَ لا يُهَنِّئُ عُضْوٌ بالمَسَرّاتِ سائِرَ الأَعْضاءِ

ضمّن عنوان القصيدة ما يوهم عدم امتثاله لأمره حين أمره بإنشاد
٦ قصيدة للتهنئة في ضمن صرف التهنئة إلى[١] الأكفاء وادّعاء الاتحاد والمساهمة معه . والواحدي يتعجب من ادعاء المساهمة في هذا ، قلت : الأحقّ بأن يُقضى منه العجب ما قاله في آخر هذه القصيدة مصرّحاً
٩ بكونه من الملوك ، وذلك قوله :

وفُؤادي من المُلوكِ وإن كا نَ لِساني يُرى من الشُّعراءِ

---

١ ك : في .

س ٦ : والواحدي ... : يقول الواحدي تعليقاً على البيت الثاني : «وهذا طريق المتنبي يدعي لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع وليس ذلك الشاعر فلا أدري لم احتمل ذلك منه» .

٣ مُسْتَقِلٌّ لكَ الدِّيارَ ولَوْ كا نَ نُجُوماً آجُرُّ هذا البِنَاءِ

[١٢ ب] فدخل في التلاعب بسواد وجهه وظلمة قلبه لأنه يقول في قلبه[١] أنا مستقلٌ ضياءَ هذه الدار في مقابلة ظلمتك ولو كان آجرُّها المبنية بها كلها أجراماً نيِّرة . ٣

٤ وَلو أنَّ الذي يَخِرُّ مِنَ الأَمْـ واهِ فِيها مِن فِضَّةٍ بَيْضاءِ

لم يكتف بالأول حتى ضمّ إليه ما في هذا البيت ، ليفيد تأكيد شدة ظلمته لمشاركة الفضة البيضاء في التنوير . ٦

٥ أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنَّى بِمَكانٍ في الأَرْضِ أو في السماءِ

البيت فيه إغراق يُستعاذ منه لولا أنه قصد به أن يقول : أنت ممن لا تقبلك الأرض ولا السماءُ[٢] فبأي مكان يهنئك من يهنئك ؟ ٩

٦ ولَكَ النَّاسُ والبِلادُ وما يَسْـ رَحُ بينَ الخَضْراءِ والغَبْراءِ[٣]

لمَّا ذكر في البيت الذي قبله الأرض والسماء ، أخذ يذكر ما يكني عنهما وهو الخضراءُ والغبراءُ . إلا أنه ضمَّنه[٤] الإيماء إلى أنه عاجز عن تحصين ما يملكه لقلَّة غَيْرته . يفهم ذلك من ذكر السراح بين الخضراء والغبراء ، يكني بها عن البساتين والمفاوز . وإليه أشار بقوله : ١٢ ١٥

---

١ في قلبه : سقطت من ك .
٢ ك : الأرض والسماء .
٣ ابن جني والعكبري : الغبراء والخضراء .
٤ ك : ضمن .

٧ وَبَسَاتِينُكَ الجِيادُ وما تَحْ ـمِلُ مِنْ سَمْهَرِيَّةٍ سَمْراءِ

البيت ضمّنه ما ينوِّر قصده في الذي قبله ، لأنه كنى ببساتينه الجياد عن جواريه ، وأثبت لهن الحمل من سمهريَّة سمراء كناية عما يستهجن ذكره .

٨ إنَّما يَفْخَرُ الكَريمُ أَبُو المِسْـ ـكِ بِمَا يَبْتَني من العَلْياءِ

[١٣ آ] أخذ يذكر ما يلوّح إلى ما يُتَّهم به الخصيان بإثبات الافتخار له في الابتناء من العلياء ، والقرينة على هذا القصد جعله في مقابلة هذا الابتناء ما يبتني الحواضر مع ما يطَّبي قلوب النساء . وإنما فصل بينهما بما ترى من الأبيات تستُّرًا ، إذ لو ذكره مقارناً به لكان القصد أوضح من كل واضح .

٩ وَبِأَيَّامِهِ التي انْسَلَخَتْ عَنْـ ـهُ وما دَارُهُ سِوَى الهَيْجاءِ

البيت ضمَّنه أبدع المقاصد الدالَّة على عدم عقله وكمال غفلته عن المدح والهجاء ، بجعله افتخارَه في ضمن سواد وجهه لأن مقصوده من قوله :

* وَبِأَيَّامِه التي انْسَلختْ عَنه *

التلميح إلى قوله تعالى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإذا هُمْ مُظْلِمُون﴾ (يس ٣٧) فانظر إلى دقَّة نظره .

١٠ وَبِما أَثَّرَتْ صَوَارِمُهُ البِيـ ـضُ لهُ في جَماجِمِ الأَعْداءِ

المعروف في مقام الافتخار الإغماد في جماجم الأَعداء . فلما صرف افتخاره إلى مجرد التأْثير ، علم أنه قصد به التعريض بكونه جباناً ضعيف الحزم . ٣

١١ وَبِمِسْكٍ يُكْنى بهِ ليسَ بِالمِسْـ ـكِ ولٰكِنَّهُ أَريجُ الثَّنَاء

أولًا أسقط الأَب من كنيته لسرٍّ خفيّ ، ثم سلب كونه مسكاً ، وصرف إلى ما هو من قبيل الرياح يهزأُ به . ٦

١٢ لا بِما يَبْتَني الحَوَاضِرُ في الرِّيـ ـفِ وما يَطَّبِي قُلوبَ النِّساء

البيت فيه ما هو أبلغ من التصريح بكونه خصيّاً ليس[١] من شأْنه استمالة قلوب النساء بما يستميل به الفحولُ من الرِّجال . [١٣ ب] ٩

١٣ نَزَلَتْ إذْ نَزَلْتَها الدَّارُ في أَحْـ ـسَنِ منها من السَّنَا وَالسَّنَاء

يقول في قلبه : نزلت[٢] الدار بنزولك فيها ، بعد ما كانت في أَحسن ما تكون من الضياء والبهاء[٣] ، على أن تكون كلمة «في» في ١٢ قوله «في أَحْسَنِ منها» بمعنى التقابل ، كما في قوله تعالى : ﴿فَمَا مَتَاعُ[٤] الحَيَاةِ الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة ٣٨) ومن حينئذٍ متعلقة «بنزلت» . ١٥

---

١ ك : أي ليس .
٢ ك : قد نزلت
٣ البهاء : سقطت من ك .
٤ متاع : سقطت من النسختين .

١٤ حَلَّ في مَنْبِتِ الرَّياحِينِ مِنْها   مَنْبِتُ   المَكْرُماتِ   والآلاءِ

أولًا : رمز إلى أن تلك الدار صارت منبت السودان بذكر اسمٍ
٣ مخصوصٍ بهم وهو «ريحان» و «سنبل» . ثم أحله في منبت الرياحين ،
ومنبتها حقيقةً التراب . هذا ثم جعله منبت الآلاء ، والآلاءُ شَجر حسن
المنظر مرّ الطعم . وهذا القصد مبيّن في إظهار المضمر بقوله :

٦ وَأيْنَ مَنْبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنْبِتِهِ   عنمَنْبِتِ العُشْبِيَبْغي مَنْبِتَ الكَرَمِ[1]

١٥ تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّما ذَرَّتِ الشَّمـ   ـسُ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْداءِ

صرّح الشرّاح بكونه هزءًا وذلك أظهر من الشمس . إلا أنّ[2]
٩ العجب من جسارة المتنبي بذكره وغفلة كافور ومن عنده منه . وقال
في إظهار المضمر بصرف الشمس إلى القمر :

وَأسْوَد مِشْفَرُهُ نِصْفُــهُ   يُقالُ له أنتَ بَدْرُ الدجى

١٢ ١٦ إنَّ في ثَوْبِكَ الذيالَمجْدُ فيهِ   لَضِياءً يُزْري بِكُلِّ ضِيَاءِ

البيت فيه بقية الهزء الذي أدّاه في ضمن تفضيح ضياء الشمس

---

١ أدخل عجز البيت التالي مكان صدر هذا البيت ، وروايته في ابن جني والواحدي :

مكمومة بسياط القوم نضربها   عن منبت العشب نبغي منبت الكرم

ورواية العكبري : معكومة .

٢ ك : إلا العجب .

س ٨ : صرح ... : يقول ابن جني في شرحه لهذا البيت : «وكان يقول إنه هزأ به في هذا البيت وله نظائر في شعره» .

بشمس منيرة سوداء ، وبادعاء سراية ذلك إلى ثوبه مع الرَّمز إلى كون المجد مستورًا به . أَما هزءُه بثوبه فمبيَّن في إظهار المضمر بقوله

* وَمَشْيُكَ في ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيا * ٣

وأراد بإزراء الضياء [١٤ آ] الذي في ثوبه كل ضياء ، الإشارة إلى أنه من جهة خسّة الشركاء . ثم إن الذي يقصده من جلده مبيّن في الذي عقبه به حيث قال : ٦

١٧ إنَّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابيضاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِن ابْيِضاضِ القَبَاءِ

البيت وإن ضمَّنه ادّعاء ابيضاض النَّفس وهو أمرٌ مستور ، إلا أنَّه صرَّح فيه بسواده بطريق مفهوم المخالفة . الذي هو أخو الكناية في كونه أبلغ : ٩

١٨ كَرَمٌ في شَجَاعَةٍ ، وذَكَاءٌ في بَهاءٍ ، وَقُدْرَةٌ في وَفَاءِ

البيت من قبيل السحر الحلال لأَنه جعل سلب تلك الأَوصاف عنه في ضمن الإثبات بتلك الإدماجات . فصار معنى البيت على ما في قبله : له كرم إلا أنه مطويٌّ في شجاعته ، وله فهم إلاَّ أنه في حسنه ، وما أحسن إثباته له . وله قدرة كاملة إلا أنه يحب الوفاءَ ، يريد به التعريض لمواعيده الكاذبة . ومما قال في هذا المعرض : ١٢ ١٥

تَزِيدُ عَطاياهُ على اللَّبْثِ كَثْرَةً   وَتَلْبَثُ أَمْواهُ السَّحابِ[1] فَتَنْضَبُ[2]

---

١ في العكبري : السماء .

٢ أمامه في هامش ر حاشية تقول : وما قاله في مواعيده مدحاً وذماً ففي غاية الكثرة كما سنقف عليه في موارده . اه .

١٩ مَنْ لِبِيضِ المُلوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْ نَ بِلَوْنِ الأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ

البيت مزوّق بأنواع ألوان الهجاء ، لا يدري من يراه أيّ نوع يذكر .
أولًا : تعرّضه للبحث عن لونه صراحةً ، ثم ترغيبه الملوك البيض
الوجوه إلى التلوّن بلونه . على أنه أيّ فخر للملوك بقبح الصورة وهول
المنظر وأنه لا مدخل له في الشجاعة قطعاً . وإن أثبت بالادعاء في البيت
الذي عقّبه به ما يُصلح ويحسّن وجه الترغيب حيث قال :

٢٠ فَتَرَاها بنو الحُروبِ بِأَعْيا نِ تَراهُ بِها غَداةَ اللِّقاءِ

ثم مّما يقضي منه العجب أنه لما مكّن له قبح الصورة وهول المنظر
جعله رجاء العيون بكل أرض فقال : [١٤ ب]

٢١ يَا رَجَاءَ العُيونِ في كُلِّ أَرْضٍ لم يَكُنْ غَيرَ أَنْ أَراكَ رَجَائي

هذا بيت القصيد لاشتماله على لطائف المقاصد . أولًا لمّح فيه إلى
قوله :

فإنْ[١] كنتُ لا خيراً أَفَدْتُ فإنّني أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرَيْكَ المَلاهيا

لأن مآل قوله :

* لم يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَراكَ رَجائي *

هو هذا المعنى بعينه[٢] ، وقد خاطبه بذلك وناداه . وأما المصراع

---

١ في الأصل : وإن . وقد عدل عنها إلى هذه الرواية ، وهي رواية النسخ ، فيما بعد .
٢ ك : بقوله .

الأَول فقد ضمَّنه ما هو كالتوطئة لما لاحظه في الثاني ، على معنى أنه رجاءُ العيون فقط ، مع إفادة تحسّره وندمه في قصده ، كما أفصح عن تحسّره بالبيت الذي عقَّبه به حيث قال : ٣

٢٢ وَلَقَدْ أَفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلِي[١] قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي وزَادِي ومائي

أَخذ يبيّن له ما أَفناه في طريق الوصول إليه متحسّرًا عليه . يفهم ذلك من جعله نتيجة آماله رؤْيته فقط ثم تقييده بهذه الحاليّة في قوله : ٦ «وَلَقَدْ أَفْنَت ... » البيت .

ومن البراهين القاطعة في إثبات ما ذكرته في بيان مقاصده القلبيّة ما قاله في هذه القصيدة متَّصلًا به : «فارْمِ بي ... » مع ما في التعرّض ٩ بعنوان الرمي من الإشارة إلى أنه صار هدف سهام جوره وجفائه فقال :

٢٣ فَارْمِ بي ما أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّي أَسَدُ القَلْبِ آدَمِيُّ الرُّوَاءِ

١٢ هذه المواجهة تدلُّ على أَنه طاش عقله وطار صبره حتى تجاسر على التصريح بأَنه آيسٌ من إحسانه موطّن على التصبّر بسهام جفائه مع الإيماءِ إلى أنه مستحق بذلك بل بأَزيد مما قاساه لتسبّبه . يفهم هذا من الفاءِ في قوله : «فَارْمِ بي » [١٥ آ] كما قال : ١٥

رَضِيتُ بما تَرْضى بِهِ لِيَ مِحْنَةً[٢] وقُدْتُ إليكَ النَّفْسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ

---

١ في الأصل : رحلي .
٢ في نسخ الديوان « محبة » وقد أشرنا إلى هذه الرواية في هامش ص ١٨ .

٢٤ وَفُؤَادي مِنَ المُلوكِ وإنْ كَا   نَ لِسَاني يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

الشريطة ضمَّنها إعلام كافور عِزَّةَ نفسه ودفع توهُّم الرجاءِ والصلة منه كما قال في إظهار المضمر :

٣ تَوَهَّمَ القَوْمُ أنَّ العَجْز قَرَّبَنا   وفي التَقَرُّبِ ما يَدْعو إلى التُّهَمِ

ومما قال أفصح منه في ردعه عن ظنّ توقع الإحسان منه :

٦ تَظُنُّ ٱبْتِساماتي رَجَاءً وغِبْطَةً   وما أنا إلا ضاحِكٌ مِنْ رَجائِيا

(٣)

ولما أنشده هذه القصيدة حلف له أن يبلِّغَهُ جميع ما في نفسه ، وإنه لأكذب ما يكون إذا حلف ، فقال أبو الطيب : ٣

١ مَنِ الجآذِرُ في زِيِّ الأَعَارِيبِ حمرُ الحُلى والمَطَايا والجلابِيبِ

قصدَ في مطلع[١] القصيدة التلاعب به وبمن أطاعه من العضاريط الرعاديد[٢] بعدَ كافور ومن أطاعه من أولاد البقر الوحشي لجهات ٦ جامعة بين المشبّه والمشبّه به بالاستفهام التجاهلي توطئةً لما يقوله بعدُ : «إنْ كنتَ تسْأَلُ شكاً ...» اهـ . يهزأ بهم وبما عليهم من الألبسة[٣] الفاخرة الملوّنة وبالتي على مطاياهم . ٩

٢ إنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكّاً في مَعارِفِها فَمَنْ بَلاكَ بِتَسْهِيدِ وَتَعْذيبِ

البيت ضمَّنه التعريف في ضمن التشكيك بحيث إنه يكاد أن يكون تصريحاً بأنَّ التَّسهيد والتعذيب من كافور كما هو مبيّن في إظهار ١٢

---

١ ك : قصد بهذه .

٢ ك : والرعاديد .

٣ ك : والملابس .

المضمر بقوله :

يا ساقِيَيَّ أَخَمْرٌ في كُئُوسِكُما   أَمْ في كُئُوسِكُما هَمٌّ وَتَسْهِيدُ[١]

٣ لا تَجْزِني بِضَنىً بِي بَعْدَهَابَقَرٌ   تَجْزِي دُموعِيَ مَسْكوباً بِمَسْكوبِ

[١٥ ب] يقول في قلبه مخاطباً لكافور ، بعد ذكر ابتلائه بأسباب الضَّنى وهو التسهيد والتعذيب منه : لا تجزني بجنس الضنى الذي[٢] أنا الآن عندي منه[٣] حصة كاملة لا تقبل الزيادة ، فلا تجزني بعدها بقر من البقور ، أو على حذف حرف النداء ، وإنما صرف الفحوى إلى الجآذر تستُّرًا . والمصراع الثاني على هذا ، إمَّا إخبار عما هو الآن عليه من كثرة البكاء ، أو يقول : إنْ جازيتني بمثل ضنى يكون سبباً لزيادة بكائي . وبيَّن الضنى في إظهار المضمر بقوله :

* عَلِيلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القِيامِ *

٤ سَوائِرَ رُبَّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا   مَنِيعةً بينَ مَطْعُونٍ ومَضْروبِ

يقول في قلبه : نحن سوائر ، يخبر عما عزم عليه من الفرار من كافور مع صحبه . ويلوّح إلى ما سيقع بينه وبين من يتبعه . وقد أوضح عن صحبه وأن الذين يَتبعونه من الفوارس يصيرون مطعونين مضروبين[٤] في إظهار المضمر بقوله :

١ سقط هذا البيت من ك .
٢ ر : التي .
٣ ر : منها .
٤ مضروبين : سقطت من ك .

بِيضُ العَوارِضِ طَعَّانونَ مَن لَحِقوا مِنَ الفَوارِسِ شَلّالونَ لِلنَّعَمِ

أما تبيان قوله: «سوائر» و«الفرسان»، فبقوله في إظهار المضمر :

إذا سِرْنا عن[١] الفُسْطاطِ يَوْماً فَلَقِّنِيَ الفَوارِسَ والرِّجـالا ٣
لِتَعْلَمَ قَدْرَ مَنْ فَارَقْتَ مِنِّي وأَنَّكَ رُمْتَ مِن ضَيْمي مُحَالا

٥ وَرُبَّما وَخَدَتْ أَيْدِي المَطِيِّ بِها على نَجيعٍ من الفُرْسانِ مَصْبُوبِ[٢]

البيت من تتمّة ما يتوقّعه ويصمّم عليه في حقّ الفوارس الذين ٦
يتبعونه . وهذه الفرسان هم الذين قال فيهم : «فلَقِّني الفوارس»
صراحةً كما ترى .

٦ كم زورةٍ لَكَ في الأَعرابِ خافِيةٍ أَدْهَى وقد رَقَدوا من زَوْرَةِ الذِّيبِ ٩

[١٦آ] البيت مسوق في مقام التحمُّس بذكر ما سبق منه وصدر عنه من
اقتحامه الشدائد وخلاصه من المضايق بحسن تدبيره وتدرُّبه في أمثاله .
إمَّا تشجيعاً لنفسه وإغراءها على تحقيق ما عزم عليه . وإما إسماعاً ١٢
لكافور ومن حوله من شهامته وشجاعته .

٧ أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لي وَأَنْثَني وَبَياضُ الصُّبْحِ يُغْري بي

ظاهره مدح سواد الليل وإثبات الشفاعة له وقدح بياض الصبح ١٥

---

١ في العكبري : على .
٢ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : وهذا الفرسان هي التي في قوله : فلقني الفوارس . اه

رشوة لكافور[1] . وباطنه نسبة كافور إلى القيادة لأن المتنبي نفسه لما قال :

٣ عَلَّ الأميرَ يَرى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لي إلى التي تَرَكَتْني في الهوى مَثَلَا

قالوا إنه أراد به تكليف القيادة للأمير ، والليل وصفه الشعراء بذلك حيث قال شاعرهم :

٦ لا تَلْقَ إلا بِلَيْلٍ مَن تُواصِلُهُ فالشَّمْسُ نَمَّامَةٌ واللَّيلُ قَوَّادُ

والقرينة إضافة الشفاعة إلى سواد الليل والتعرض للفظ الشفاعة . على أنه كان يمكن له[2] أن يقول : «يَسْتُرني» بدل «يَشْفَعُ لي» .

٩ ٨ قد وافَقوا الوَحْشَ في سُكْنَى مَراتِعِها وخالَفوها بِتَقْويضٍ وَتَطْنيبِ

أخذ يدور في هذا البيت حول كافور ومن حوله بما يؤكد كونهم من الوحوش والبهائم ، لأنه يقول صراحة : إنهم وافقوهم في سكنى ١٢ مراتعها إلا أنهم خالفوها بالتقويض والتطنيب[3] . وقد أفصح في

---

١ ك : رشوة كافور .
٢ ك : يمكنه .
٣ أمام هامش ر تعليقة تقول : وأيضاً في المراتع ما ينور ذلك القصد . اهـ .

س ٤ : قال الوحيد في تعليقه على شرح ابن جني لهذا البيت : « ... ولكنه معنى قبيح اللفظ وللفظ نصيب من الأسماع والنفوس على أن بيت أبي نواس أقرب إلى معنى العطاء لأنه قال : «يجمع بيننا» أي يعطيني ما يكون سبب الجمع ، والمتنبي نزل بهذا الأمير نزولا قبيحاً فجعله يشفع في مثل هذا » . اهـ . وقال الواحدي – ونقل عنه العكبري – «وذلك نوع من القيادة» . اهـ

س ٦ : البيت لابن المعتز وهو في ديوانه (ط . الخياط) ص ٩٦ .

إظهار المضمر عن عدّه كافور[١] ومن حوله من الوحوش حيث قال :

كأنَّ الأَسْوَدَ اللّابيَّ فيهِمْ غُرابٌ حولَهُ رَخَمٌ وَبُومُ [١٦ ب]

٩ جِيرانُها وهمُ شَرُّ الجِوارِ لَها وَصَحْبُها وهمُ شَرُّ الأَصاحيبِ ٣

البيت ضمَّنه الشكاية عن مجاورتهم وعن صحبتهم كما قال في إظهار المضمر :

رَأَيْتكُمْ لا يَصونُ العِرْضَ جارُكُمُ ولا يَدِرُّ على مَرْعاكُمُ اللَّبَنُ ٦

وإن كان ظاهر ما ذكرته في سيف الدولة إلا أن باطنه أحقّ في كافور .

١٠ فُؤادُ كُلِّ مُحِبٍّ في بُيُوتِهِم ومالُ كُلِّ أَخِيذِ المالِ مَحْروبِ ٩

البيت فيه ما يرمز إلى أن موضوع القصيدة في حقّ[٢] كافور ومن حوله ، لأن أخذ المال بالحراب ليس من شيمة المحابيب من النساء .

١١ ما أَوْجُهُ الحَضَرِ المُسْتَحْسَناتِ بِهِ كَأَوْجُهِ البَدَوِيَّاتِ الرَّعابِيبِ ١٢

١٣ أَيْنَ المَعِيزُ مِنَ الآرامِ نَاظِرَةً وغيرَ ناظِرَةٍ في الحُسْنِ والطِّيبِ

١٦ ومِن هَوَى كُلِّ من لَيْستْ مُمَوَّهَةً تَرَكْتُ لَوْنَ مَشيبي غيرَ مَخْضوبِ

١٧ ومن هَوى الصِّدْقِ في قَوْلي وعادَتِهِ رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الوَجْهِ مَكْذُوبِ ١٥

---

١ ك : كافوراً .

٢ حق : سقطت من ك .

الأبيات من قبيل التغزل لم يظهر لي فيه شيء مما التزمه في الكافوريات إلى قوله :

٣ ١٨ لَيْتَ الحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الذي[١] أَخَذَت
مِني بِحِلْمِي الذي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبي

كنى بالحوادث عن كافور بدليل أنه ادعى ثبوت كل واحد ما أعطَتْ له في مقابلة ما أخذت منه ، وهو الحلم والتجربة في صحبة كافور ، مع وصفه بالحداثة في البيت الذي ذكره متصلاً به وفي إجراء أداة التأنيث عليه في «باعت» و «أخذت» و «أعطت» من رعاية عادته المستمرة في هذا الباب . أما كنايته بالحوادث عن كافور فقد رَمز إليه بقوله : «فما الحداثة» وأثبت له الحلم لأن الذي يعطي شيئاً لا بدَّ من[٢] وجوده عنده . وأما الثاني من الذي أعطت ، وهو التجربة ، فقد أثبته له في قوله «مجرّباً» . وإنما فصل بينهما بقوله : «تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأُسْتَاذُ» تستُّرًا [١٧ آ] وحاصل قصده إظهار التحسُّرِ على ما أنفق في طريق الوصول إليه ، مع إفادة أنه ما كان منه قصد كافور إلا في حال خلوّه عن الحلم والتجربة ، والآن يتمنَّى أن يصل إليه من كافور مقدار ما أخذه في مقابلة ما أعطاه من الحلم والتجربة وأنه قانع بذلك .

---

١ في النسختين : التي ، وقد صححنا على نسخ الديوان .

٢ من : سقطت من ر .

١٩ فما الحَداثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ   قد يُوجَدُ الحِلْمُ في الشبّانِ والشيبِ

يهزأ بعقله ويعرّض بحداثة سنه لينوّر به ما قصده في البيت الذي قبله من أن مقصوده من الحوادث كافور بإثبات الملك له . لأنَّ البائع لا يبيع إلا ما يملكه فلذلك أثبت له الحلم كما أشرت إليه .

٢٠ تَرَعْرَعَ المَلِكُ الأُسْتَاذُ مُكْتَهِلًا   قَبْلَ اكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ

يقال : ترعرع الصبيّ إذا تحرّك ونشأ . فيقول على ما في قلبه : نشأ هذا الصبيُّ الملك الأُستاذ مكتهلاً قبل أوان الاكتهال ، ومتأدباً قبل تأْديب . يهزأ به بادعاء ثبوت شيء له لا يمكن حصوله عادةً ، كأنه يريد أن يسلب عنه ما أثبته له في البيت الذي قبله من الحلم في حداثة السن .

٢١ مُجَرَّباً فَهِماً من غيرِ تَجْرِبَةٍ   مُهَذَّباً كَرَماً من قبل تَهْذيبِ [١]

وهذا أيضاً من وادي البيت الذي قبله إلا أنه يمكن أن يقال إنه قصد في المصراع الثاني أنه مهذَّب من الكرم رأْساً من أَول يوم خلق ، لا ممن كان أولاً كريماً ثم صار بخيلًا كما قال في إظهار المضمر :

من أَيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتي مِثْلَكَ [٢] الكَرَمُ   أَيْنَ المحَاجِمُ يا كافُورُ والجَلَمُ

---

١ في النسختين : من غير تجربة ... من غير تهذيب . وفي ابن جني والعكبري : من قبل تجربة ... من قبل تهذيب . وقد اخترنا رواية الواحدي .

٢ انظر هامش ص ٩ .

[١٧ب] ٢٢ حتى أَصابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهايَتَها   وهَمُّهُ في ابْتِدَاءاتٍ وَتَشْبِيبِ

البيت مما يسبي العقول حسن موقعه من جهة أنه جعل نتيجة ما
٣ ادعاه له من رصانة العقل والتجربة والأدب والكرم ما هو صريح في الشُّحِّ والسَّفه والغفلة عما وصل إليه من أقصى غاية الغايات وهو الملك والسلطنة ، ثم إنه لا يدري وصوله إلى الغاية وهو يظنُّ نفسه أنه في
٦ ابتداءِ الأمر ، فيتبعها في طلب الزيادة حِرصاً وشرهاً ونظير هذا قوله :

مَدًى بَلَّغَ الأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّهُ   ونفْسٌ له لم تَرْضَ إلا التَّناهِيا

٢٣ يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ   إلى العِراقِ فأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ[1]

٩ بعد ما مهَّد في عقول العارفين[2] سخافة عقله وكمالَ غفلته أخذ يدور حول تدبيره في ممالكه ببيان سعة أطرافها[3] ليكون أدخل في ذمّه بالحرص والشحّ . وهذا التدبير الذي يستهزىءُ به هنا مبيّن في إظهار
١٢ المضمر بقوله :

إنَّ امرَءاً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ   لَمُسْتَضامٌ سَخِينُ العَيْنِ مَفْئودُ

كما مَثَّلَه[4] .

١٥ ٢٤ إذا أَتَتْها الرِّياحُ النُّكْبُ مِن بَلَدٍ   فما تَهُبُّ بها إلاَّ بترْتِيبِ

١ في الأصل : والنوب ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٢ ك : بعدما مهد في العقول .
٣ ر : أطرافه .
٤ إن ... مثله : سقطت من ك .

البيت ضمَّنه التلاعب بتدبيره لأنه جعل مدار أمر تدبيره في ترتيب هبوب الرياح النُّكْب .

٢٥ ولا تُجاوِزُها شَمْسٌ إذا شَرَقَتْ   إلاَّ ومِنْهُ لها إذْنٌ بِتَغْرِيبِ   ٣

البيت ضمَّنه التلميح إلى قوله :

* وَلَوْ[1] كَانَ مِن أَعْدائِكَ القَمَرانِ *

بقرينة اشتراطه الإذن منه لغروب الشمس . فإنَّ المعروف بين الملوك   ٦
أن[2] الذي يحتاج إلى الإذن في المرور من مملكته لا يكون [١٨ آ]
إلا إذا كان المارّ من أعدائه . مع إفادة أنه مُوَكَّل الظلمات وسلطانه
حتى إن أعظم المُشْرِقات لا يمكن له المرور من مملكته ويصل إلى مغربه   ٩
إلا بالإذن منه . كل ذلك هزءٌ لتدبيره ، وهذا أظهر من الشمس .

٢٦ يُصَرِّفُ الأَمْرَ فيها[3] طِينُ خاتَمِهِ   ولو تَطَلَّسَ منهُ كُلُّ مَكْتوبِ

لما أثبت له الاستيلاء على عالم الظلمات . أخذ يذكر شيئاً من   ١٢
لوازمه وهو تطلُّس ما كتب في أوامره . ومع ذلك لزمه تدارك أمر
إمكان التصريف في ملكه بمقتضى ما تطلَّس من الكتابة . فينصرف
ذلك التصرّف إلى طين خاتمه . وكون كل ذلك من قبيل التلاعب   ١٥
ظاهر من فحوى كلامه ، يعرفه من له ممارسة في التنقير عن مَلاحِظه

---

١ في النسختين : وإن .
٢ أن : سقطت من ك .
٣ في الأصل : فيه ، والتصحيح من نسخ الديوان .

في الكافوريات .

٢٧ يَحُطُّ كُلَّ طَويلِ الرُّمْحِ حامِلُهُ مِن سَرْجِ كُلِّ طَويلِ البَاعِ يَعْبُوبِ

٣ المفهوم من عبارة بعض الشرّاح أن مقصوده من هذا البيت التلاعب بعظم جثة أعوانه من العضاريط[1] الرعاديد الذين يحملون طين خاتمه .

٢٨ كَأَنَّ كُلَّ سُؤالٍ في مَسامِعِهِ قَميصُ يُوسُفَ في أجْفانِ يَعْقوبِ

٦ يقول في قلبه : كل سؤال يدخل سامعته يكون سبباً لانفتاح عينه وانقلاب حماليقه غَضَباً على السائل . والقرائن الدالّة التي أودعها نفسه على هذا القصد أنه ذكر بعده غزاء أعدائه بمسئلة ، ثم قفّاه بمحاربتهم ٩ ثم بإثبات استئصالهم إذا ألحّوا عليه ، وكذا نقله خاصة قميص يوسف من العين إلى المسامع .

٢٩ إذا غَزَتْهُ أعادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فقدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلوبِ

١٢ أولًا رمز إلى أنّ سؤّاله من أعاديه . وما أطرف تعليقه أمر الغزاءِ بمسئلة [١٨ ب] واحدة ، ثم عدّه ذلك بمثابة جيش لا يغلب ، يعني أنه لا يثبت لها وينهزم عنها . وإنما قلت ذلك لأن الخوارزمي ، وهو

---

[1] في النسختين : العفاريت .

٣ : قال ابن جني في شرح هذا البيت : « يقول : يقتل حامل خاتمه كل فارس طويل الرمح فيذريه عن سرج كل فرس طويل الباع أي طويل القوائم » اهـ . وقال الواحدي : « يقول : حامل خاتمه ينزل الفارس الطويل الرمح من سرج الفرس ، وذلك أنه إذا رأى خاتمه سجد له فينزل من فرسه » . اهـ .

الذي قرأ ديوانه عليه ، فسَّر هذا البيت وأظهر مضمره حيث قال :

وَلَوْ أَني جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ　　لما حاربتُ إلا بالسؤالِ

لأَنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمُونَ مِنْهُ　　وقد ثَبَتُوا لأَطْرافِ العَوالِي　٣

٣٠ أو حارَبَتْهُ فما يَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ　　مما أَرادوا ولا يَنْجُو بِتَجْبِيبِ[1]

لما مهَّد أنَّ سُؤَّاله من أعدائِه فيبغضهم ، وبيَّن حاله معهم عند أول صدور السؤال منهم ، وهو أنه ينهزم ولا يثبت ، أخذ يبيِّن حاله معهم　٦ إذا ألحّوا عليه وبالغوا في الإلحاح ، أنه يستأصلهم ولا ينجو منهم أحدٌ ممَّن تقدَّم أو هرب . والقرينة في البيت على ما قلته . قوله : «مما أَرادوا» . والبيت قريب إلى قوله في هذا المعنى :　٩

يُبيدُ عَداواتِ البُغاةِ بِلُطْفِهِ　　فإنْ[2] لم تَبِدْ منهمْ أَبادَ الأَعادِيا

لأن البغاة جمع الباغي ، وهو السائل .

٣١ أَضْرَتْ شَجاعَتُهُ أَقْصى كَتَائِبِهِ　　على الحِمَامِ فما مَوْتٌ بِمَرْهُوبِ[3]　١٢

يقول في قلبه : إن عسكره لما ألفوا بمشاهدة منظره الهائل هان

---

١ روايته في النسخ :

أو حاربته فما تنجو بتقدمة　　مما أرادوا ولا ينجو بتجبيب

٢ انظر هامش ص ٤٦ .

٣ في النسختين : بمهروب .

س ٢ ولو أني ... البيتان سبقا ص ٢٠ ولم نعثر عليهما .

عليهم الإقدام على الحِمام . ثم لا تغفل عن حسن مدخله لوصفه بالشجاعة بعد بسط محاربته مع سُؤّاله . حيث أثبت الشجاعة له في ضمن هول منظره لا في ذاته .

٣٢ قالوا هَجَرْتَ إليهِ الغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ
إلى غُيوثِ يَدَيْهِ وَالشَّآبِيبِ [1]

يخبر عما قال له أصدقاؤه على ما يُروى . وذلك أنهم قالوا له : أنت الذي حرمت نفسك عن إحسانه وصلته لأنك جعلت كلَّ ما [١٩ آ] أنشدته فيه من عنصر السَّواد والبياض والظلمة والنور . وهو وإن غفل عنه فلا بدَّ وأن يبديه له بعض الفضول ، فقال لهم : إني وهبت إحسانه إلى إحسانه . كما قال في إظهار المضمر .

وإنْ بَذَلَ الإنْسَانُ لي جُودَ عابِسٍ جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ [2] المُتَبَسِّمَ

٣٣ إلى الذي تَهَبُ الدَّولاتِ رَاحَتُهُ ولا يَمُنُّ على آثارِ مَوْهُوبِ

هجر الغيثَ في الذي قبله إلى غيوثِ يديه . وفي هذا البيت إلى ذاته . وأراد بالدّولات التي تهبها راحتاه التقلُّبات والشدائد . ولذلك ادَّعى له أنَّه لا يمنُّ على آثار ما وهبه لأنه ليس مما يمنُّ على آثاره ، يهزأ به وببهيته .

---

١ أمامه في هامش ر تعليقة ، فيها بعض عبارات تركية وفارسية غامضة ، أعقبها بقوله : ومما يؤكد هذا المعنى الذي ذكرته من شعره قوله :

وكل نوال كان أو هو كائن فلحظة طرف منك عندي نده

٢ رواية العكبري : الباذل .

٣٤ ولا يَرُوعُ بِمَغْدورٍ به أَحَدًا   ولا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوب

البيت على ما في قلبه من فروع ما أثبت له في الذي قبله من أنَّ هبته ليس إلا الدولات ، على المعنى الذي قصده فيه . يريد أنه لم يبق في ملكه غنيّ حتى يأخذ ماله ويُفزِّع به غنياً آخر . واستئصاله أموال الناس بَيَّنَهُ في قوله :

وقد وَصَلَ المُهْرُ الذي فَوْقَ فَخْذِهِ   من ٱسْمِكَ ما في كُلِّ عُنْقٍ ومِعْصَمِ [١]

٣٥ بَلَى يَروعُ بِذي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ   ذا مِثْلِهِ في أَحَمِّ النَّقْعِ غِرْبِيبِ

يقول في قلبه : نعم يخوّف صاحب جيشٍ عظيم يصرعه بأرض يماثله في شدّة السّواد ، بإرجاع ضمير مثله إلى كافور . ويجعل في متعلَّقه بقوله مثله لإثبات المماثلة بينهما في الأسود الغربيب .

٣٦ وَجَدْتُ أَنْفَعَ مالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ   ما في السَّوابِقِ مِن جَرْيٍ وتَقْريبِ

بعد ما سرد العيوب والنَّقائص الموجودة في كافور ، التي كلٌّ واحد منها من الأسباب الملجئة إلى الفرار منه ، أخذ يخبر عن [١٩ ب] أنفع مال ادّخره وأعدّه لمثل هذه الأوقات والحالات . يعني عندما عنَّ له التشبّث إلى عُدَّةِ النجاة . وذلك ما وجده في السوابق من الجري والتقريب ، وهما نوعان من جري الخيول . إلا أنه ذكر التقريب تستُّرًا لإيهامِ ظاهره الرغبة في التقرُّب إلى كافور .

---

١ رواية العكبري : بيد ومعصم .

٣٧ لما رَأَيْنَ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بي وَفَيْنَ لي وَوَفَتْ صُمُّ الأَنابيب

البيت ضمَّنه الإخبار عن ابتلائه بضروف الدهر وبغدر كافور له ، فاقتضى ذلك تحقيق ما عزم عليه ، إلا أنه أورد الكلام في صورة الماضي تستُّراً ، ومقصوده الإخبار عما سيقع له مع من يتبعه . وفي المصراع الثاني ما يومي إلى قوله :

* تَرَكْنا لأَطْرافِ القَنا كُلَّ حَاجَةٍ *[1]

٣٨ فُتْنَ المَهالِكَ حتى قالَ قائِلُها ماذا لَقينا مِنَ الجُرْدِ السَّراحيبِ

البيت منسوج على منوال ما في البيت الذي قبله ؛ يخبر عما سيقوله الفوارس عندما ييأسوا من ردّه إما تفاؤلاً وإما لتحقُّقه عنده لشهامته .

٣٩ تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ ليسَتْ مَذاهِبُهُ لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ وَمَشْرُوبِ

البيت ضمَّنه الإخبار عن عزة نفسه وأن اقتحامه الشدائد في مذاهبه ليس لتحصيل الملبس والمأكل والمشرب ، مع الإشارة إلى أن[2] ما وصل عند كافور مقصور على ذلك ، وأنه لا يرتضيه كما قال في عكسه معرضاً بكافور .

وفي النَّاسِ مَنْ يَرْضى بِمَيْسورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاهُ والثَّوْبُ جِلْدُهُ

---

١ في ابن جني : كل لذة ؛ وفي الواحدي والعكبري وعزام : كل شهوة . وقد لزم المؤلف هذه الرواية حيث أتى بالبيت أو بصدره .

٢ أن : سقطت من ك .

[٢٠ آ] ٤١ حتى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ
تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ

قال المعري : قيل إنه تعريض بسواده ، يعني وصلت إلى نفس ٣
كريمة في جسم أسود وفضلها غير محجوب . أقول : القائل وصل إلى
نصف مقاصده لأنه جعل نهاية ما قاساه الوصول إلى نفس محجّبة مع
الرمز إلى عَدّه من النِّساء بذكر خصائصهنّ كما قال في هذا المعنى : ٦

* وَحالٍ كَإِحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُوغَها *

وعنى بالمصراع الثاني ما جعله اصطلاحاً جديدًا في مشفره ، وذلك أنه
كلّما يتعرّض لفضله يريد به مشفره كما قال : ٩

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُـهُ يُقالُ لهُ أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى

ثم إنه جعل نتيجة الأبيات الدالّة على عزم الفرار منه الوصول إلى
كافور ومحطّ رحاله تَسَتُّرًا . ١٢

٤٢ في جِسْمِ أَرْوَعَ صافي العَقْلِ[١] تُضْحِكُهُ
خَلائِقُ النَّاسِ إِضْحاكَ الأَعاجِيبِ

صرّح الشرّاح بكونه هجوًا وذلك ظاهر إلا أنهم لم يتعرضوا ١٥

---

١ ابن جني : صافي الخلق .

س ١٥ : صرح الشراح ... لم نجد في الشروح التي بين أيدينا ما يلمح إلى ذلك .

لأَطراف مقاصده المدمجة فيه . فمن ذلك أنه ضمَّنه وصوله إلى سرائره بقرينة جعلها في داخل جسم أَروع . بعدما أَخبر عن وصوله إلى ظاهره الذي قال فيه :

* حتى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ *

وأَيضاً ضمَّن قوله صافي العقل معنى «صاف» أي خال عن العقل على قاعدة الحذف والإيصال . ثم نوَّر ذلك بأَنه تُضحكه أخلاق الناس قاطبةً إضحاك الأَعاجيب . لأَن الذي يضحك ويتعجب من خلائق الناس قاطبةً لا يكون إلا مجنوناً .

٤٣ فَالحَمْدُ قَبْلُ لهُ والحَمْدُ بَعْدُ له   ولِلْقَنَا وَلِإدْلاجِي وَتَأْوِيبي

[٢٠ ب] فرّق الحمد بين كافور والخيل والقنا والإدلاج والتأْويب . ليستنبط من ذلك عدم الحمد لواحد منها . وإنما ذكر الحمد للخيل ليتهيأَ له أن يقول : «فكيف أَكْفُرُ يا كافُورُ نِعْمَتَها» لما لاحظ فيه نكتة تعدل قصيدة كما سنقف عليه .

٤٤ فكيْفَ[١] أَكْفُرُ ياكافُورُ نِعْمَتَها   وقد بَلَغْنَكَ بي يا كُلَّ[٢] مَطْلوبي

أَولًا : ضمَّن البيت ما يدلُّ على أن جلَّ ما حصل له منه مجرد البلوغ إليه كما قال :

* لم يَكُنْ غيرَ أَنْ أَراكَ رَجَائي *

---

١ في نسخ الديوان : وكيف .
٢ العكبري : يا خير .

ثم تسلَّق بذكر « فكيف أكْفُرُ يا كافورُ » إلى أن يناديه بما في مادته ما يدلُّ على المبالغة في نسبته إلى الكفر حيث قال «يا كافور» ، وإن كان صيغة المبالغة فيه كفور وكفَّار ، إلاَّ أنه يكفيه اشتراك الكلمة ٣ في جواهر حروفه لأنه جعل قوله قبله : « فكيف أكفرُ » قرينة دالَّة على ذلك كما أشرت إليه أوّلًا .

٤٥ يا أيُّها الملِكُ الغَاني بتَسْمِيَةٍ في الشَّرْقِ والغَرْبِ عنوَصفٍوتَلْقِيبِ ٦

البيت ضمَّنه قصد تجريد اسمه ، وهو كافور ، عن الوصف والتلقيب ، ليتمخَّض له ما في كافور من الدلالة على المبالغة في الكفر . وهذا من أبدع مقاصده الخفيّة . ثم لا تغفل عن قصده في المصراع ٩ الثاني فإنه رمز بقوله : «في الشرق» إلى ما لاحظوا في تسميته بكافور من التَّلميح إلى البياض ، ثم إلى ما لاحظوا في «أبي المسك» من سواده ، وأثبت له التجريد لذلك القصد الذي أشرت إليه . ١٢

٤٦ أنْتَ الحَبيبُ ولكنِّي أعوذُ بهِ من أنْ أكونَ مُحِبّاً غيرَ مَحْبوبِ

البيت معناه على ما في قلبه : أنت الحبيب ولكني أعوذ بالله من أن أكون محباً غير محبوب عند الله وعند الناس . وهذا الحبيب هو ١٥ الذي عبر عنه بالحبيب المقنَّع في قوله : [٢١ آ]

* ولو كَانَ ما بي من حَبيبٍ مُقَنَّعٍ *

س ٢ : ما يدل على المبالغة، يعني أن كافور هي فاعول من الكفر .

(٤)

وقال يمدحه في ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمائة .

١ أَوَدُّ مِنَ الأَيَّامِ ما لا تَوَدُّهُ وَأَشْكُو إليها بَيْنَنَا وهْيَ جُنْدُهُ

٣ البيت ضمَّنه ما يحتمل أن يكون معناه على ما في قلبه : أنا أُحب من الأَيَّام ما لا تحبه أنت يا كافور ، بل تُبْغضه وتحذر منه ، وهي الشدائد ، لأَن الأَيَّام إذا أُطلقت يراد بها الشدائد . وقد ورد في القرآن

٦ العظيم ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾ (إبراهيم ، الآية ٥) . وهذه الأَيام التي يودُّها المتنبي ويتوقَّعها فيه مبيَّن بقوله :

وقد تُحْدِثُ الأَيَّامُ عندَكَ شيمَةً وَتَنْعَمِرُ الأَوْقاتُ وهْيَ يَبَابُ

٩ والمصراع الثاني على هذا مَسوقٌ في مقام التعجب من شكايته إلى كافور عن سيف الدولة . وهذه الشكاية هي التي قال فيها في إظهار المضمر :

١٢ ولا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ شَكْوَى الجَرِيحِ إلى الغِرْبانِ وَالرَّخَمِ

لأَن كون مقصوده من الغربان والرخم كافور مبيَّن بقوله :

كَأَنَّ الأَسودَ اللاَّبِيَّ فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَخَمٌ وَبُومُ

٢ يُباعِدْنَ حِبّاً يَجْتَمِعْنَ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحِبٍّ يَجْتَمِعْنَ وَصَدُّهُ

خلاصة ما في قلبه أنه يتعجب من عدم تبعيد الأيّام بينه وبين ٣
كافور مع أن شيمة الأيام تبعيد الحبيب المواصل ، فكأنه يقول :
فما باله لم يبعد بيني وبين الحبيب القاطع . ولا يبعد أنه عنى بالحبيب
المواصل سيف الدولة وأنه كان الحبيب المواصل فبَعَّده عنه [٢١ ب] ٦
وأشار إلى هذا بقوله :

٣ أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيباً تُدِيمُهُ فما طَلَبي منها حَبِيباً تَرُدُّهُ[١]

البيت فيه ما[٢] يؤكد الأوّل إلاَّ أنه زاد فيه استبعاده طلبه منها ٩
ردّ الحبيب الذي فارقه وهو سيف الدولة .

٤ وَأَسْرَعُ مَفعولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّرًا تَكَلُّفُ شَيءٍ في طِباعِكَ ضِدُّهُ

البيت فيه إظهار النَّدم بالإخبار[٣] عن سرعة لحوق التغيّر له ، ١٢
لاختياره خلاف ما في طبعه .

---

١ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : وإنما قلت إنه قصد ذلك لقوله :

أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيداً دونها بيد

وهذه القصيدة كلها في الشكاية وفي هجو كافور ، يستخرج المتأمل منها كثيراً من مقاصده المدمجة في مدائحه . اهـ .

٢ ما : سقطت من ك .

٣ ك : والاخبار .

٥ رَعَى اللهُ عِيساً فَارَقَتْنا وفَوْقَها[1]   مَهاً كُلُّها يُولي بِجَفْنَيْهِ خَدَّهُ

قصد به إعلامَ كافور أنه كان في عزّ وشرف ورغبة عند سيف الدولة حتى إن المها بكت على فراقه ، كأنّه يمنُّ عليه بقصده .

٦ بِوَادٍ بِـهِ ما بِالقُلُوبِ كَأَنَّهُ   وقد رَحَلوا جِيدٌ تَنَاثَرَ عِقْدُهُ

فيه جرّ ذيل التحزّن على فراقه إلى الوادي ، إلا أنه ولّى وجه الكلام إلى سمت آخر تستّراً .

٧ إذا سَارَتِ الأَحْدَاجُ فَوْقَ نَباتِه[2]   تَفاوَحَ مِسْكُ الغَانِيَاتِ وَرَنْدُهُ

مدح للوادي[3] بكثرة العشب وطيب النبات .

٨ وحالٍ كإحْدَاهُنَّ رُمْتُ بُلوغَها   ومن دونِها غَوْلُ الطَّرِيقِ وبُعْدُهُ

البيت فيه ما يكاد أن يكون أبلغ من التصريح ، بعدٌ كافور من الغانيات ، إلا أن الذي يقضي منه العجب جسارة الرجل على أمثاله . أما في هجويّاته فنعم لاحتمال أنه لم يبلغه ، وإنما الداهية في المدائح التي أنشدها له[4] عند ندمائه . كما عدّه منهن في قوله :

لا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ فَحْلٍ لهُ ذَكَرٌ   تَقودُهُ أَمَةٌ ليست لها رَحِمُ

---

١ ر : وفوقه .

٢ في النسختين : نباتها .

٣ ك : الوادي .

٤ له : سقطت من ك .

[٢٢ آ] وإنما عبَّر بالأَمَة ليجرّ إليه حصّةً من الرمز إلى كونه عبدًا أيضاً ، وكذا قال فيه :

إنَّ امْرَءاً أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ   لَمُسْتَضامٌ سَخينُ العَيْنِ مَفْئُودُ ٣

وأيضاً جعله واسطة بين الرجال والنسوان حيث قال :

مِن كُلِّ رِخْوِ وِكاءِ البَطْنِ مُنْفَتِقٍ   لا في الرِّجالِ ولا النِّسوانِ مَعْدُودُ

وإنما أوردت ما ترى ليكون عندك علم كمال امتلائه من الغيظ ٦ واجترائه على كل وقاحة معه . فلا تستبعد ما استخرجته لك من خبايا مقاصده المدمجة في مدائحه .

٩ وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ   وَقَصَّرَ عمَّا تَشْتَهي النَّفْسُ وُجْدُهُ ٩

البيت مسوق في سياق بيان سبب اقتحامه الشدائد وتوطينه على ما قاساه في طريق الوصول إليه من خوف غَوْل الطريق وما لحقه من التعب ، أي في طلبه . لبعد المسافة بينه وبين كافور . ١٢

١٠ فلا يَنْحَلِلْ في المجْدِ مالُكَ كُلُّهُ   فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كانَ بالمالِ عَقْدُهُ

البيت فيه نصح نفسه أو صاحبه بأن لا يخرج من يده ماله كلَّه كما وقع له في قصد كافور . فصار عاقبته السقوط عن الاعتبار . ١٥ يُفهم ذلك من الفاءِ [١] في قوله «فلا ينحلل» . وانحلال ماله بالكليّة

---

١ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : قوله يفهم ذلك من الفاء لأنه بين في البيت الذي قبله سبب طلبه كافور وإلجائه إليه . اهـ .

إلى الماء في هذا الطريق مبيّن في قوله :

وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي   قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِي وَزَادِي ومائي

٣ ثم إنك لو تصفحت مداخل الكافوريّات تجدها حينما يصل كلامه إلى الوصول إليه يعقّبه بالبيت الذي يكون روح كلامه فيه التحسّر على ما أنفق في طريقه . تدبّر تقف .

٦ ١١ وَدَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الذي المجْدُ كَفُّهُ   إذا حارَبَ الأَعْداءَ والمالُ زَنْدُهُ

[٢٢ ب] مناصحة ثانية يأمر بأن يتعلم تدبير المال من كافور . ولقد أبدع حيث اعتبر المجد في كفّه وهو في صدد التدبير ، فكأنه ٩ ضمّن المصراع أنه يريد بالكفّ أي المنع . والمصراع الثاني لتعيين كافور بهذا التدبّر «إذا حَارَبَ الأَعْداءَ»[١] .

١٢ فلا مَجْدَ في الدُّنْيَا لمن قَلَّ مالُهُ   ولا مالَ في الدُّنيا لمن قَلَّ مَجْدُهُ

١٢ البيت معناه ظاهر إلا أنّه ضمّنه حرمان كافور من الانتفاع بماله لقلّة مجده وعظم شحّه . قال أبو الفتح : قال المتنبي : كان كافور يعجبه صدر البيت ويحفظه ولم يكن يتعرّض لباقيه . وهذه الحكاية ١٥ من البراهين القاطعة لصحة ما قلته في معنى البيت . لأنه يظهر من هذه

---

١ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : وفي لسان العرب في مادة زند معان تناسب البخل وغيره مما يصلح أن يعتبر في هذا البيت . اهـ .

س ١٤ : قال أبو الفتح ... قال لي : كان كافور يعجبه صدر هذا البيت ويحفظه ولم يكن يعرض لباقيه .

الحكاية أيضاً أن كافور كان مطبوعاً على الشحّ والخسّة . وأما إعجابه صدر[1] البيت فالسرّ فيه ما قاله المتنبي والأمر في الحقيقة على ذلك ، وذلك قوله : ٣

إنّما تُنْجِحُ المَقالَةُ في المَرْ ءِ إذا وَافَقَتْ هَوىً في الفُؤادِ

١٣ وَفي النَّاسِ مَنْ يَرْضى بِمَيْسورِ عَيْشِهِ
وَمَرْكوبُهُ رِجْلاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ ٦

البيت لا يخلو من التعريض بكافور ، كأنه يخبر عن أنه من تلك العصبة ، حيث سلب عنه الانتفاع من ماله في البيت الذي قبله . وتعرّضه لذكر الثوب والجلد يصلح أن يكون قرينةً لذلك القصد لأنّه ٩ قال في كافور :

إنَّمَا الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابْيِضاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِن ابْيِضاضِ القِبَاءِ

١٤ ولكنَّ قَلْباً بينَ جَنْبَيَّ ما لَهُ مَدىً يَنْتَهي بي في مُرادٍ أَحُدُّهُ ١٢

[٢٣ آ] البيت ضمّنه الاستدراك لإخراج نفسه عن تلك الرزيّة والدناءة لبيان علوّ همّته ، بحيث انه ليس لها حدّ ينتهي إليه فيقف عنده . ولا يخلو من الإشارة إلى سبب اقتحامه الشدائد . كأنه تشكّى ١٥ من ذلك مع مدحه ، كما قال في وصف القلب وعزائمه :

وما العِشْقُ إلاّ غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ

---

١ كذا في النسختين .

١٦ يُكَلِّفُني التَّهْجيرَ في كُلِّ مَهْمَهٍ عَلِيقي مَراعِيهِ وَزادِيَ رُبْدُهُ

أخذ يذكر ما عنَّ له من جهة قلبه الذي بيَّن أوصافه مشيرًا به إلى أنه لم يحصل له عند كافور ما يمنعه عن السفر وارتكاب المحن واقتحام الشدائد . بل بدا له التوطين على تحمُّل كل مشقَّة تصيبه في طريق النجاة من حبسه . كما قال في إظهار المضمر :

ذَراني والفَلاةَ بِلا دَليلٍ وَوَجْهي وَالهَجيرَ بِلا لِثامِ

١٧ وأَمْضَى سِلاحٍ قَلَّدَ المرْءُ نَفْسَهُ رَجاءُ أَبي المِسْكِ الكَريمِ وَقَصْدُهُ

كأنَّه سلك مسلك التدرّج في بيان ضجره إلى أن قال البيت الذي جعله فذلكةَ تلك المضمرات . ونتيجة ما استفاده وشاهده من تلك المشقَّات . لأنه فسَّره بقوله :

إذا أَلْجَأَ الإنْسَانَ عَصْرٌ لِحاجَةٍ إلى قَصْدِ كَافورٍ فَذاكَ حِمامُهُ

١٨ هُما ناصِرَا من خَانَهُ كُلُّ ناصِرٍ وَأُسْرَةُ[١] من لم يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ

يقول في قلبه : إن رجاء أبي المسك وقصده ينصران سيفَ مَن لم يقطع سيفه في قتل نفسٍ من خانه سيفه إذا نبا . يريد به تأكيد ما ادعاه في أمضى سلاح قلد المرءُ نفسه . ومراده من التقليد تسليطه على نفسه بقصده . وأما المصراع الثاني فقد ضمَّنه [٢٣ ب] أبدع المقاصد التي يتلألأ منه[٢] بروق الهزء به . وذلك إثبات الأولاد لخصيٍّ مثله .

١ في النسختين : وأثره ، وهو تصحيف .
٢ كذا في النسختين .

على أنه ادعى لها الكثرة وجعله أُسْرة من لم يكثر النسل جدّه . وأما ما أدمجه في لفظ الأُسرة من التلويح إلى أنه من البهائم فلا يمكن وصف حسنه لأَن الأُسرة أصلها في إكثار الفحل من ضراب الناقة . ٣
والبيت للتمهيد لما يقوله في الذي عقبه به :

١٩ أنا اليَوْمَ مِنْ غِلْمانِهِ في عَشِيرَةٍ   لنا والِدٌ مِنهُ يُفَدِّيه وُلْدُهُ

لم يكتف بالهزء الذي أَدمجه في الذي قبله من ادعاء تكثير النسل ٦
للخصيّ حتى تجاسر إلى الهزء الصريح به حيث صرَّح بأَنه والد يفديه ولده . مع ضمّ لفظ العشيرة الموهمة بالعشرة . وأَضاف ذلك إلى نفسه .

٢٠ فَمِنْ مالِهِ مالُ الكَبيرِ وَنَفْسُهُ   ومن مَالِهِ دَرُّ الصَّغيرِ ومَهْدُهُ [1] ٩

الفاءُ في قوله «فمن ماله» يفصح عن الهزء في جعله والدًا ، ثم أثبت له الأَولاد من جهة النسل ثم جعل نفس الكبير أَيضاً من ماله .
وفي التعرّضِ إلى الدَّرّ ما يومي إلى قوله : ١٢

وأَنْتَ الذي رَبَّيْتَ ذا الملكَ مُرْضِعاً   وليس لهُ أُمٌّ سِواكَ ولا أَبُ

---

١ أمامه في هامش ز تعليقة تقول : ولا يبعد أنه عنى من المال ما قالوا في معنى نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال أنه أراد بالمال الحيوان ، رمزاً إلى كون ما يملكه كله من جنس الحيوان ليس فيهم إنسان كما قال :

لك الحيوان الراكب الخيل كله   وإن كان بالنيران غير موسم . اه .

أقول : في اللسان (مول) : وفي الحديث نهى عن إضاعة المال ، قيل : أراد به الحيوان ، أي يحسن إليه ولا يهمل .

لمعنى يلاحظه في كافور .

٢١ نَجُرُّ القَنا الخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ وَتَرْدِي بنا قُبُّ الرِّباطِ وجُرْدُهُ

٣ البيت ضمَّنه الكناية عن شيء يُستهجن التصريح به ، لأنه أراد «بالقنا الخطِّيّ» ما هو في مقابلة «القِباب» . وأشار بالمصراع الثاني إلى هلاكه وهلاك ما في ملك كافور وطويلته من الخيول جوعاً ، ولهذا

٦ المعنى قال : «قب الرِّباط» ، لأنَّ قبّ أصله من قبّ اللحم إذا ذهبت نداوته ويبس وجفّ .

٢٢ وَنَمْتَحِنُ النُشَّابَ في كُلِّ وَابِلٍ دَوِيُّ القِسِيِّ الفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ

٩ [٢٤ آ] ٢٣ فَإِلاَّ تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ

فَإِنَّ الذي فيها مِنَ النَّاسِ أُسْدُهُ[1]

البيت ضمَّنه عدّ الناس الذي فيه[2] من الكلاب ، لأنه بيّن هذا

١٢ القصد في عدّة مواضع من كافوريّاته ، لأن الأسد من أشهر أسماء الكلب .

٢٤ سَبائِكُ كافورٍ وعِقْيانُهُ الذي بِصُمِّ القَنا لا بِالأَصابعِ نَقْدُهُ

١٥ البيت فيه ما يدلّ على ما ذكرته من مقاصده الهزلية ، لأن السبائك

---

١ في النسختين فيه . ورواية ابن جني : «وإلا ... التي فيها من الأسد أسده» .

٢ كذا في النسختين .

كثيرًا ما تطلق على المحابيب . وفي المصراع الثاني ما ينوّر أن مراده الإيماء إلى قصده بقوله :

٣ * نَجُرُّ القَنا الخَطِّيَّ حَولَ قِبابِهِ *

وكذا ما في الذي عقّبه به من تجربة العدوّ وغيره في هزل الطراد ، لأن العدوّ ليس له أن يمتحنهم في هزل الطراد .

٢٥ بَلاهَا حَوَالَيْهِ العَدُوُّ وَغَيْرُهُ وَجَرَّبَها هَزْلُ الطِّرادِ وَجِدُّهُ ٦

الضمير في «بلاها» على ما في قلبه راجع إلى السبائك . وقد أثبت للعدوّ[١] أيضاً تجربتها في هزل الطراد فتعيّن قصده . ومما يكون عوناً على ما أسلفناه من بيان مقاصده القلبيّة ، الاستغفار بعده من ذنبه ٩ لأنه لو لم يمهّد ذلك لم يكن لهذا البيت مناسبة لا للسّباق ولا للسّياق فتدبّرْه .

٢٦ أَبُو المِسْكِ لا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ ولٰكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ ١٢

البيت ضمّنه ما يصلح أن يكون معناه أبو المسك لا يفنى عفوه بذنبك ، لذلك يصلح أن يكون معناه : يا أبا المسك لا يفنى بذنبك عفوي . وفي المصراع الثاني يقول : ولكن يفنى بعذرك حقدي ، يلمح ١٥ به إلى قوله :

---

١ في ك : العدو .

س ١ : المحابيب : لعلها جمع محبوب ، وهو نقد ذهبي أو نوع من الحلي الذهبية ، وهي لفظة مولدة متأخرة عن عصر الشاعر .

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ   في كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ

وكذا إلى قوله في إظهار المضمر :

٣ إني لأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أُعَنِّفُهُمْ[١]   حتى أُعَنِّفَ نَفْسِي فيهِمُ وأني [٢٤ب]

٢٧ فَيَا أَيُّها المَنْصُورُ بِالجَدِّ سَعْيُهُ   ويا أَيُّها المَنْصُورُ بِالسَّعْي جَدُّهُ

لما أراد نصرته وبلوغه العُلى بين السَّعي والجدّ ، فقد أوقع التشكيك في معرفة أنه بأيّهما وصل . ليكون مآل الكلام إلى ما قال في بلوغه إلى الملك :

وما كُنْتَ ممنْ أَدْرَكَ المُلْكَ بالمُنَى   ولكنْ بِأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيا

٩ ٢٨ تَوَلَّى الصِّبى عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طِيبَهُ   وما ضَرَّني لما رَأَيْتُكَ فَقْدُهُ

أخذ في التلاعب بما حصل له من رؤيته بأنواع المقاصد ، لأن كلامه يحتمل أن يكون قصد فيه من الخَلَف الطيب اسوداد شعرهِ منه وعود شبابه . ويحتمل أنه عنى به التلميح إلى ما يقال في الشَّباب إنه شُعْبَةٌ من الجنون على معنى : تجنَّنتُ لما رأيتُكَ في هذه السلطنة والأُبهة مع أنك عبد أسود قبيح الصورة والسِّيرة كما قال :

١٥ * وَما طَرَبي لما رَأَيْتُكَ بِدْعَةً *

ويؤيد هذا القصد تعقيبه بقوله :

---

١ في النسختين : فيما ؛ وفي ك : أفندم .

* لقَدْ شَبَّ في هذا الزَّمانِ كُهُولُهُ * ... البيت

ويحتمل أن يكون قصده الإخبار عما حصل له بدل الجنون العقل الرصين ، كما قال في هذا المعنى :

لَيْتَ الحَوادِثَ بَاعَتْنِي الَّذي[1] أَخَـذَتْ
مِنِّي بِحِلْمِي الَّذي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبي

٢٩ لقد[2] شَبَّ في هذا الزَّمانِ كُهُولُه   لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ

البيت ضمَّنه الاشارة إلى جنون ما[3] عنده ممن أطاعوه حيث اختاروا مثله سلطاناً عليهم وهم أحرار ، وكافور عبد أسود ليس عنده شيءٌ مما يستأهل به أن يكون سلطاناً[4] . وأثبت العقل للّذين عند غيره من الملوك بذكر ما هو من أسباب كمال العقل ، وهو الشيب [٢٥ آ] ففيه ما يدلُّ على أنه قصد في الذي قبله تجنُّنه كما أشرت إليه سابقاً .

٣٠ ألا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ   فَتَسْأَلَهُ ، واللَّيْلَ يُخْبِرُ بَرْدُهُ

البيت ليس له موقع التناسب لا لما قبله ولا لما بعده[5] ، إلا عند من تفطَّن لما التزمه في ذكره رؤيةَ كافور ووصولَه إليه . أنه لا بدَّ وأن يُعَقِّبه بذكر شيءٍ يدلُّ على تحسُّره وندمه وتلهُّفه على تعبه وعلى ما

---

١ في النسختين : التي ، وقد صححنا على نسخ الديوان .
٢ هذه هي رواية الواحدي والعكبري .
٣ كذا في النسختين .
٤ مما ... سلطاناً : في ك مما يستأهل أن يكون به سلطاناً .
٥ ولا لما بعده : سقطت من ك .

قاسى في طريقه ، كما يظهر لك عند المراجعة إلى مظانّه . فقصد في البيت إعلام كافور ما قاساه من الحرّ والبرد في طريق الوصول إليه ، ٣ يتوقّع منه الترحّم له . وفيه استدرار صلته وإن كان الغالب عليه اليأس منه ، وهذا من القبيل الذي قال فيه :

وإنّما تَحْتَالُ[١] في جَذْبِهِ   كَأَنَّكَ المَلاَّحُ في قَلْسِهِ

٦ هذا ، ثم إنه لاح لي في هذا البيت بعض مقاصده اللطيفة الدالة على كمال حذقه في إفراغ الكلام في قالب مقتضى الحال ، فلا بأس بأن نذكر منها حِصَّةً بالتقريب . وذلك أنه لما رأى أن في كلامه جرّ المنفعة ٩ والاستشراف إليها أسنده إلى آخر برعاية قاعدة التجريد ، مع أنه يريد به نفسه في قوله «تحتال» ، وقوله «كأنك» لايهام التبرّي عنه . ثم لما أراد أن يخبر عن كمال التعب والمشقّة في ما يحاوله لاستخلاص ١٢ شيء من يد كافور ، بنى الكلام على تمهيد أشق الأَعمال التي[٢] من لوازمه اقتحام الشدائد والمهالك ، وذلك عمل الملاحين المخاطِرين ، لِيتَهَيَّأَ له تشبيه حاله مع كافور بحالهم في قلس السفينة ، خصوصاً عندما ١٥ تعلق وتنشب رواسيهم في قعر البحر بصخرة صمّاء فيحتاجون في تخليصه إلى التعاون وأنهم [٢٥ ب] راضون بخلاص راسيتهم ، بمعونة تخييل ذلك بالجامع الخيالي الناشيء من تصويره كمالَ سعيهم ١٨ في استخلاصه ، ليفيد التلويح إلى ما في المشبَّه من بعد غور كرمه وأنه

---

١ ك : تحتاج .

٢ كذا في النسختين .

مُتعِبُ مَن يُؤمِّل منه شيئاً . وفيه معنى آخر يستخرج من قوله : «في جذبه» ، وذلك أقرب مما قدمته ؛ وهو أَنَّه شبَّه كافور[١] بسفينة عظيمة سوداء مطيّن[٢] بالقير لا يمكن تحريكه[٣] مما هو عليه إلا بِحَبْل غليظ ملفوف من طاقات كثيرة ، يحتاج الملاح إليه إذا أراد جذبه[٤] . فحينئذٍ يكون قصده التنبيه على كمال متانته في البخل وتمكُّنه في الشحّ بحيث انه يحتاج الإنسان في صرفه عما هو عليه إلى تدبير مركّب من طاقات المعالجات عندما يريد جذبه إليه .

٣١ ولَيْتَكَ تَرْعاني وحَيْرانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أَني مِنْ حُسامِكَ حَدُّهُ

يقول على ما في قلبه : ليتك تعاملني بالرعاية والإحسان ، ثم التفت فقال لآخر : وحيران مُعرض عنّي ، يكني به عن غفلة كافور من معرفة قدره . أما ترى إلى قوله :

* فَتَعْلَمَ أَنِّي مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ *

فإنه صريح في بيان غفلته عن معرفة شأنه وقدره .

٣٢ وأَني إذا باشَرْتُ أَمْرًا[٥] أُريدُهُ تَدانَتْ أَقاصِيهِ وَهانَ أَشَدُّهُ

البيت صريح في أَنَّه عازم على الفرار منه ، أورده في صورة ما سبق

---

١ ك : كافوراً .
٢ ك : مليسة .
٣ ك : تحريكها .
٤ جذبها . والجملة مضطربة الضمائر كأكثر جمل المؤلف .
٥ في ر : شيئاً . ورواية الواحدي : حاولت أمراً .

منه حين فرَّ من سيف الدولة تستُّرًا ، إلا أنَّ باطنه أنه تحمَّس يخبره عن قدرته على تحقيق أمر يباشره إن لم يُراعه . ولذلك قال :

٣ ﴿ تَدَانَتْ أَقاصيهِ وهَانَ أَشَدُّه ﴾ [٢٦ آ]

٣٣ وما زالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهونَ لي إليكَ فَلَما لُحْتَ لي لاحَ فرْدُهُ

البيت ضمَّنه إعلام كافور أنه لا يشبهه أحدٌ من الخلائق على وجه الأرض ، يهزأ بغرابة ذاته وصفاته كما قال فيه : ٦

قَضَى اللهُ يا كافورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ وليس بِقاضٍ أن يُرى لكَ ثاني

وفي قوله : « لحت » ما يلمح إلى قوله :

٩ ﴿ أَشَخْصاً لُحْتَ لي أَمْ مَخازِيا ﴾

٣٤ يُقالُ إذا أَبْصَرْتُ جَيْشاً وَرَبَّهُ أَمامَكَ رَبٌّ ، رَبُّ[١] ذا الجيْشِ عَبْدُه

خلاصة ما يقوله في قلبه : إني كلما أبصرت جيشاً وربَّه وظننته كافور[٢] قيل لي : « أمامك رب ، رب ذا الجيش عبده » ، يريدُ به ١٢ مدّ حكم « كلَّما »[٣] إلى كافور ليتهيَّأ له أن يُصرِّح بكون كافور أيضاً عبدًا مملوكاً ، ولهذا اختار لفظ « الرب » لِيُفْهَمَ منه ما قاله في إظهار المضمر :

---

١ رواية ابن جني : ملك ملك ، ورواية الواحدي : ملك رب ...
٢ ك : كافوراً .
٣ كلما : سقطت من ك .

صار الخَصِيُّ إمامَ الآبِقِينَ بِها فالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ والعَبْدُ معْبُودُ

لما في لفظ «معبود» ما يشعر بذلك .

٣٥ وَأَلْقَى الفَمَ الضحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بذي الكَفِّ المفدَّاةِ عَهْدُهُ ٣

كون قصده من «الفم الضحَّاك» الهزء مبيّن بقوله في إظهار المضمر :

وماذا بمِصْرَ مِنَ الْمُضحِكاتِ ولكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالبُكَا ٦

٣٦ فَزَارَكَ مِنِّي مَنْ إلَيْكَ اشْتِياقُهُ وفي النَّاسِ، إلاَّ فيكَ وَحْدَكَ، زُهْدُهُ

وللمتنبي اصطلاح في الزيارة وذلك مبيّن في قوله :

فلا زِيارَةَ إلاَّ أَنْ تَزُورَهُمُ أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ المَصقولَةِ الخُذُمِ ٩

ولذلك كثيرًا ما يورد لفظ الزيارة في الكافوريات . وضمّن البيت ما هو من صفات السَّيف ، وهو التَّجريد من الغمد ، حيث صاغه على قاعدة التجريد ، لأنه قال : «فزارك مني» لهذا القصد [٢٦ ب] ١٢ وليكون فيه حصّة من تبرئته عن زيارته ، كأنّه يضيفها إلى شخص آخر . وأفاد بالمصراع الثاني تَعَيُّنَهُ لتلك الزيارة واسْتِئْهالَه لها خاصّة من بين الناس ، وهذا صريح لا شكَّ فيه . انظر إلى تأكيده بقوله : ١٥ «وحدك» ، مع حصول الحصر بالنفي والاستثناء .

٣٧ يُخَلِّفُ من لم يَأْتِ دارَكَ غايَةً وَيأْتي فَيَدْري[1] أَنَّ ذلك جُهْدُهُ

---

[1] رواية الواحدي : ويدري .

البيت يقول ، على ما في قلبه ، إن الذي لم يأْت دارك يظنُّ أنه فات عنه غاية الأماني ، ثم إنه يأْتي فيدري أن ذلك الذي يظنُّه فيك ليس إلا مشقَّته وتعبه . وله في تنوير هذا القصد عدة أبيات في مدائحه وهجوبَّاته . كما قال في إظهار المضمر :

فإنْ كُنْتُ لا خَيْرًا أَفَدْتُ فَإنَّني   أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرَيْكَ المَلاهِيا

وقال في ما ظاهره مدح وباطنه هجو :

يا رَجاءَ العُيونِ في كُلِّ أَرْضٍ   لم يكنْ غيرَ أنْ أراكَ رَجَائي

ومن القرائن التي ضمَّنها هذا البيت ذكر الدَّار ، وقوله : « يأْتي فيدري » ، ولفظ « الجهد » الذي جاء بمعنى التعب والمشقَّة أيضاً . والبيت الذي عقَّبه به فيه ما يقوم مقام البرهان لذلك القصد .

٣٨ فإنْ نِلْتُ ما أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّما   شَرِبْتُ بماءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُه

فإنه صريح في صعوبة النَّيل إلى الآمال ، بحيث يُضرب به المثل عندما أرادوا التعبير عنها بأبلغ ما يمكن أن يعبّر عنها ، فيقولوا[١] الطير لا يصل إليه .

٣٩ وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لأَنَّهُ[٢]   نَظِيرُ فَعالِ الصَّادِقِ القَوْلِ وَعْدُه

البيت ضمَّنه التلاعب والهزء بوعده ، وأنَّ مآل ما ينال منه قاصده

---

١ كذا في النسختين .

٢ في النسختين : فإنه . والتصحيح من نسخ الديوان .

ليس إلا المواعيد الكاذبة[١] فقط . وما ذكره في مواعيده [٢٧ آ] الكاذبة صريحاً وكناية ، مدحاً وذمّاً ، في غاية الكثرة كما ستقف عليه[٢] . ومما جعله منها قرينة تدلُّ على أن مراده الهزءُ به[٣] ، أنه ذكر أولًا ما يدل على صعوبة مآل[٤] ما يؤمله منه ، ثم عقَّبه بما يدلُّ على سهولته ، والثاني أنه جعل وعده فعلاً مثل وعد ، ثم تنزَّل منه إلى الوعد الذي هو «نظيرُ فَعال الصادقِ الوعدِ وعدُه» ، ليظهر به أن مقصوده الهزء بوعده[٥] . ثم تأمل قوله :

فكُن في اصْطِناعِي مُحْسِناً ... البيت

٤٠ فَكُنْ فِي اصْطِناعِي مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ يَبِنْ لكَ تَقْرِيبُ الجَوادِ وَشَدُّهُ

يقول قيّدني بالإحسان – كما قال :

* وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسانَ قَيْدًا تَقَيّدا *

لا بالحبس والقيد . فكن كمن جرّب ذلك ووجده أدخل في

---

١ ليس إلا المواعيد الكاذبة : مكررة في ك .

٢ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : أما ما قاله في الوعد سالماً عن الهجو فما أنشده في حق علي بن محمد بن سيار :

توالى بلا وعد ولكن قبلها شمائله من غير وعد بها وعد

وأبلغ منه قوله :

واجز الأمير الذي نعماه فاجئة من غير قول ونعمى الناس أقوال

لأن ظاهر قوله : ووعدك فعل صريح في سهولة النيل بالمطلوب . اهـ .

٣ بعدها في ك : ثم .

٤ مآل : سقطت من ك .

٥ ثم عقبه ... بوعده : سقطت من ك .

الاصطناع والتقريب . انظر إلى حذقه كيف استعمل التقريب والشدّ
الذي[١] هما نوعان من جري الفرس . إلاَّ أنه قصد بتقريب الجواد
٣ وشدِّه الرمز إلى حبسه بالمواعيد الكاذبة أي تقريبه في الظاهر ، كما
أفصح عن هذا القصد بقوله :

أَرَى لي بِقُرْبي مِنْكَ عَيْناً قَريرَةً وإنْ كانَ قُرْباً بالبِعادِ يُشابُ
٦ وَهَل نافِعي أنْ تُرْفَعَ الحُجْبُ بَيْنَنا ودونَ الذي أمَّلتُ مِنْكَ حِجابُ

٤١ إذا[٢] كُنْتَ في شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فابْلُهُ فَإمَّا تُنَقِّيهِ وإمَّا تُعِدُّهُ

لما قال في الذي قبله : «كن في اصْطِناعي مُحْسِناً كَمُجَرِّبِ » ، ذكر
٩ عقيبه ما يدلُّ على أنه محتاج إلى التجربة . وأراد من السيف نفسه ،
يريد به التحمّس وإلهاب كافور وتحذيره من حدّة لسانه وقوة قلبه ؛
فيقول : امتحن السَّيف يظهر ويتبيّن لك أحد الأمرين . إما التقريب
١٢ وإما التبعيد على المعنيين .

٤٢ وما الصَّارِمُ الهِنْدِيُّ إلا كَغَيْرِهِ إذا لم يُفَارِقْهُ النِّجادُ وَغِمْدُهُ

يقول في قلبه : أنا الصارم الهنديّ إلا أني كَهامٌ بحبسكَ ؛ فإذا
١٥ نجوت منه فعند ذلك أقطع . يومىء به إلى عزمه على النجاة [٢٧ ب]
منه ، وأنه مصمّم على هجاءٍ أبلغ مما عمله فيه وهو محبوس عنده[٣] ،

---

١ كذا في النسختين .
٢ في النسختين : فإن ؛ والتصحيح من نسخ الديوان .
٣ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : ويؤيد هذا القصد ما قاله صراحة :
قد اختر تلك الأملاك فاختر لهم بنا حديثاً وقد حكمت رأيك فاحكم . اهـ .

كما قال في إظهار المضمر :

مدَحْتُ قَوْماً وإنْ عِشْنا نَظَمْتُ لهمْ   قَصَائِدًا مِنْ إناثِ الخَيْلِ وَالحُصُنِ

٤٣ وإنَّكَ لَلمَشْكورُ في كُلِّ حالَةٍ   ولو[١] لم تَكنْ إلا البَشاشَةُ رِفْدُهُ   ٣

يناديّ بأعلى صوته أن كافور غير مشكور في حال الحضور والغيبة ، ليؤكد ما رمز إليه في الذي قبله . والمصراع الثاني على هذا التمات ضمَّنه الاستفهام الذي معناه : هل يكون كافور مشكورًا بمجرّد بشاشته   ٦
وَتَبصْبُصه من غير أن يولي جميلًا مع هذه البسطة والقدرة وسعة اليد .
وقال في الرفادة :

لو كانَ ذا الآكِلُ أَزْوادَنا   ضَيْفاً لأَوْسَعْناهُ إحْسانَا   ٩
لكِنَّنا في العَيْنِ أَضْيافُهُ   يُوسِعُنا زُورًا وَبُهْتانَــا
فلَيْتَهُ خلَّى لنا سُبْلَنا[٢]   أَعَــانَهُ اللهُ وإيَّانَــا

ثم انظر إلى البيت الذي عقَّبه به فإنه صريح في عبوسة وجه كافور :   ١٢

٤٤ وكُلُّ[٣] نَوَالٍ كانَ أو هوَ كائِنٌ   فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْديَ نِدُّهُ

يقول في قلبه : كل عطاءٍ دخل في حيِّز الوجود أو سيدخل ، فنظرك إليَّ بمؤخر عينك ، ولو مرّة واحدة ، عندي ضدّ ذلك النوال لقبح   ١٥
صورتك وهول منظرك .

---

١ في النسختين : وإن .
٢ رواية الواحدي : طرقنا .
٣ رواية الواحدي : فكل .

٤٥ وإنِّي لَفي بَحْرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُهُ   عَطاياكَ أَرْجو مَدَّها وهيَ مَدُّهُ

أثبت لبحر عطاياه الجزر والمد ليتمّ له ما قصده في المصراع الثاني
٣ [٢٨ آ] أنه يرجو أن تمدّه إليه وهي تمده إلى كافور أي تسحبه
وتجرّه إليه وهذا كما قال :

* فَجُودُك يَكْسُوني وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ *

٦ وقد قال في هذا المعنى :

* فما عَنْكَ لي إلا إلَيْكَ ذَهابُ *

٤٦ وما رَغْبَتي في عَسْجدٍ أَسْتَفيدُهُ   ولكنَّها في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ

٩ خلاصة ما ضمَّنه البيت يعلمه عدم رغبته في الذهب الذَّاهب عما
قريب . مع الإشارة إلى يأسه منه . ولكن رغبته في مفخر لا يبلى بل
يتجدد بتجدد الجديدين ويبقى مدى الأزمان ؛ يريد به ما يستجلبه
١٢ له ذلك الفخر قصائده التي أنشدها في كافور على هذا الأسلوب البديع
الذي ظاهره مدح وباطنه هجو . كأنه يلمح إلى قوله في إظهار المضمر :

وشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الكَرْكَدَنَّ   بينَ القَريضِ وبينَ الرُّقى
١٥ فما كانَ ذلكَ مَدْحاً لهُ   ولكنَّه كانَ هَجْوَ الورى

وقوله :

* وأصْبَحْتُ مسْرُورًا بما أنا مُنْشِدٌ *

٤٧ يجُودُ به من يَفْضَحُ الجُودَ جودُهُ وَيَحْمَدُهُ من يفْضَحُ الحَمْدَ حَمْدُهُ

البيت صرّح الشراح بكونه هجوًا ولكن لم يتعرضوا لأطراف مقاصده المدمجة فيه . أوّلًا ضمنه بيان سبب عدم رغبته في عسجده ٣ لكون ما يجود به مما يفضح الجود لقلّته[١] . وضمَّن المصراع الثاني التبرّي عن مدح كافور ويشعر بأن الذي يُرى في صورة المدح باطنه هجو ، وأن الذي يمدح مثل كافور على قصد المدح الصريح فهو الذي ٦ يفضح المدح به وأنا لست منهم . وفيها يشير إلى عدم رغبته في صلته ببيان سبب آخر لها : [٢٨ ب]

٤٨ فإنَّكَ ما مَرَّ النُّحوسُ بِكَوكَبٍ وقابَلْتَهُ إلا وَوَجْهُـكَ سَعْـدُهُ ٩

البيت مما يقال فيه : «وليس وراء عبّادان قرية» لأنه نهاية النهايات في الهجو خصوصاً بالمواجهة مع أسود قبيح الوجه بادّعاء السعد له عند مقابلته النُّحوس . ولا تغفل عن لطف قوله : «وقابلته» من ١٢ ملاحظته المغالبة في النُّحوسة لأن في الصيغة ما يدلُّ على ذلك .

---

(١) أمامها في هامش ر تعليقة تقول : لأن ضمير يجود به ، إلى العسجد فإذا لم يحمل معناه على الهجاء يفوت حسن ارتباط هذا البيت بما قبله . اه .

س ٢ : قال ابن جني : «وهذا أيضاً مما يمكن قلبه» .
س ١٠ : وليس وراء ... : من أمثال المولدين أورده الميداني ٢ : ١٣٩ دون واو . وفي القاموس المحيط : وعبادان جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس .

ثم الذي يظهر لي أنه ضمَّنه بيان علة عدم مدحه وأن مادحه هو الذي يفضح المدح ، على معنى أنك من أنحس النّحوسات فكيف أمدحك .

٣ يفهم ذلك من الفاء التعليلية في قوله : « فإنك » .

(٥)

ومما أنشده لكافور سنة سبع وأربعين وثلاثمائة حين مات له في الدار التي انتقل إليها خمسون غلاماً في أيامٍ يسيرة . ففزع الأسود وخرج منها هارباً في الليل فنزل في دار بعض غلمانه إلى أن أُصلحت له دار كانت لحرم طولون . فلما نزلها دخل عليه أبو الطيب . فأنشده في محرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة هذه الأبيات :

١ أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُدْعَى[١] مُبارَكَةً دارٌ مُبارَكُها[٢] المَلْكُ الَّذي فيها

لمح في مطلع القصيدة إلى ما يدلُّ على أن النازل في تلك الدار من العبيد . بذكر ما هو علم في أسماء سودان العبيد . وهو مبارك وسعيد . والناس كثيرًا ما يسمّونهم بذلك تفاؤلًا كما يسمون المهالك مفاوز. [٢٩أ]

٢ وأَجْدَرُ الدورِ[٣] أن يُسقى بِساكِنِها دارٌ غدا النَّاسُ يَسْتَسْقُونَ أَهْلِيهَا

١ رواية العكبري : تسمى .
٢ في نسخ الديوان مباركة . وقد اعتمد على روايته – التي نجد إشارة إليها في الأصول – في توجيهه معنى البيت .
٣ في النسختين : الدار .

لما تعرّض لاستسقاء النّاس أهليها عُلم أنه قصد به الكناية عن شيء يستهجن ذكره .

٣ هٰذي مَنازِلُكَ الأُخرى نُهَنِّئُها فمَنْ يَمُرُّ على الأُولى يُسَلِّيها

في قيد منازله بالأُخرى ما يوهم شيئاً ، وفي تعرّضه للتهنئة والتسلية ما ينور قصده المضمر .

٤ إذا حَلَلْتَ مَكاناً بَعْدَ صَاحِبِهِ جَعَلْتَ فيه على ما قَبْلَهُ تِيها

ضمَّن البيت ما هو من خواصِّ مقابل الأُنس يريد به إلحاقه بهم كما ألحقه في قوله :

* عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دونَكَ الثَّقَلانِ *

٥ لا تُنْكِرِ العَقْلَ مِن دارٍ تَكُونُ بِها فإنَّ رِيحَكَ رُوحٌ في مَغَانِيهَا

أخذ في التلاعب بعقله وريحه وقد قال في عقله :

إذا ما عَدِمْتَ الأَصْلَ والعَقْلَ والنَّدى فمـا لِحياةٍ في حَياتِكَ[1] طِيبُ

ثم بعد ذلك يدَّعي سريان العقل إلى الدار التي يكون بها ، ألجأه إليه ما لاحظه لها في التسلية . وأما ريحه فقد قال في إظهار المضمر :

* وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ *

---

١ رواية الواحدي : جنابك .

س ٧ : مقابل الإنس : يعني الجن ، والثقلان الإنس والجن .

كل هذا هزاءٌ .

٦ أتمَّ سَعْدَك من لَقَّاكَ أوّلهُ ولا اسْتَرَدَّ حياةً منكَ مُعْطِيها [١]

قصد بتمام السعد الرمز إلى ما يقال : ٣

* توقَّعْ زوالا إذا قيل تمّ *

وبالمصراع الثاني يخبر كافور على ما في قلبه عن أن روحه لم يبق صالحاً للاسترداد لتلوثه ببدنه ودرنه وسيرته وسريرته ، كأنه يشير ٦ بذلك من ذلك الوجه إلى قوله :

ما يَقْبِضُ الموتُ نَفْساً من نُفوسِهِمُ إلاَّ وفي يَدِهِ مِنْ نَتْنِها عُودُ [٢]

---

١ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : ولا يبعد أنه قصد بقوله « لقاك » الرمز إلى أنه تعالى ابتلاه ببلاء ظاهره السلطنة وباطنه خسران الدنيا والآخرة . اه .

٢ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : ومما يصح أن يكون قرينة لهذا القصد تعرضه في البيت الذي قبله متصلا به لريحه وجعله روحاً له . اه .

س ٤ : توقع زوالا ... عجز بيت صدره :

إذا تم أمر دنا نقصه

تجده في المصون ١٤٩ واللآلي ١٠٥ وعيون الأخبار ٢ : ٢٣٢ والصناعتين ٣٩ .

[٢٩ ب] وقاد إليه مهرًا أدهم فقال يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلَت من ربيع الآخر .

٣ وأعدل الشواهد على ما قلته ما قال وهو بمصر :

فَارَقْتُكُمْ فإذا ما كانَ عِنْدَكُمُ قَبْلَ الفِراقِ أذىً بَعْدَ الفِرَاقِ يَدُ
إذا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ أعانَ قَلْبِي على الوَجْدِ[1] الذي أجِدُ

٦ ١ فِراقٌ ومن فارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وأَمٌّ ومن يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمَّمِ[2]

يقول في قلبه : هذا فراق ، يشير به إلى قرب زمان تحقيقه

---

١ في ابن جني والواحدي والعكبري : الشوق . وقد أورد عزام هذه الرواية .

٢ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : وأوضح ما قاله في تصميم الفراق من كافور :

وفارقت الحبيب بلا وداع وودعت البلاد بلا سلام

لأنه قال متصلا به أولا :

وضاقت خطة فخلصت منها خلاص الخمر من نسج الفدام

وبهذه الميمية يعبر على الكآبة من حبس كافور وتمني النجاة منه . اهـ .

س ٢ : في الواحدي وعزام سنة ٣٤٧ وفي ك : ربيع الأول .

المفارقة من كافور ، وحينئذٍ يجعل قوله :

* ومَن فَارَقْتَ غيْرُ مُذَمَّمِ *

استفهاماً يومي به إلى قوله : ٣

وإن بُلِيتُ بِوُدٍّ مثْلِ وُدِّكُمُ فإنني بِفِراقِ مِثْلِهِ[١] قَمِنُ

وكذا قوله : «ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ » يجعله استفهاماً أيضاً ، كأنه يخبر عن حاله مع الملوك في القصد والفراق ، وأنه لو رأى منهم ٦ الإحسان لتقيد به . وقد قال في إظهار المضمر :

* ولا أعاشِرُ من أمْلاكِهِمْ أحَداً * ... البيت

٢ وما مَنزِلُ اللذّاتِ عِندي بِمَنزِلٍ[٢] إذا لمْ أُبَجَّلْ عِنْدَهُ وَأُكَرَّمِ [٣] ٩

البيت فيه التصريح بأنه عازم إلى تحقيق النجاة من كافور ، وأنه لم يرَ عنده التبجيل والإكرام وإن كان له أن يصرفه إلى سيف الدولة . إلا أن الإنشاد لمَّا كان في مجلس كافور وقد تضجَّر منه أيضاً ١٢ أمكن الصرف إليهما . وفي البيت الذي عقَّبه به قوله : «لا تزال مُليحةً » ما يؤيد جانب كافور .

---

١ رواية ابن جني : منكم .

٢ في النسختين : منزل .

٣ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : وإنما حملت المنزل على نزوله عند كافور لقوله :

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود

ولقوله :

ولا أمسي لأهل البخل ضيفاً وليس قرى سوى مخ النعام اهـ .

٣ سَجِيَّةُ نَفْسٍ لا تَزالُ مُلِيحةً مِنَ الضَّيْمِ مَرْمِيّاً بِها[1] كُلّ مَخْرَمِ

البيت فيه إخبار عن سجيَّة نفسه القائمة معه أنها إذا تفرّست الضَّيم يرمي نفسه على المهالك ولا يرضى بالمقام . [٣٠ آ] وفسَّر كل واحد منها في إظهار المضمر وذكر ما يبيِّن كونه في كافور . أما تفرّسه من المخايل لما عند كافور فقد قال فيه :

أُصادِقُ نَفْسَ المَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهـا في فِعْلِهِ والتَّكَلُّمِ

وأما الضَّيم الذي شاهده عند كافور فبقوله :

* وأنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمي مُحَالَا *

وأما رميه نفسه في المهالك وتوطين نفسه على المشاقّ فقد بيَّنه بقوله في إظهار المضمر :

ذَراني والفَلاةَ بِلا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالهَجِيرَ بِـلا لِثامِ

بعد أن قال :

مَلُومُكُمَا يجِلُّ عَنِ المَلامِ ووَقْعُ فَعالِهِ فَوْقَ الكَلامِ

٤ رحلْتُ فَكَمْ[2] باكٍ بأَجْفانِ شادِنٍ عليَّ وكمْ باكٍ بِأَجْفانِ ضَيْغَمِ[3]

---

١ في النسختين : مرمياً على . وقد عدل عن هذه الرواية فيما بعد . وفي العكبري : ما تزال .
٢ في النسختين : وكم .
٣ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : معنى المصراع الثاني يقول للذين كانوا يلومونه في قصد كافور ان تحقق أمر لومكم خارج عن (أن) يفي بوصفه الكلام، تصديقاً لهم في ذلك . اه .

يقول : رحلت : يخبر عن المستقبل بالماضي لتحقُّق وقوعه عنده ، وكنّى بالشَّادن عن كافور وبالضَّيْغم عن سيف الدولة ، كأَنه يخبر عمَّا سيقع لكافور أيضاً من البكاء إمَّا تحزُّناً وإمَّا تحسُّرًا على خلاصه ٣
من يده ، كما وقع لسيف الدولة حين انسلَّ منه .

٥ وما رَبَّةُ القُرْطِ المَليحِ مَكانُهُ بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسَامِ المُصَمَّمِ

لم يقنع بما أسلفه في الكنايتين حتى حملته شهامته على كنايتين ٦
بديعتين ، وهما أجلى وأبلغ من التصريح . لأَنَّ ربَّة القرط هو كافور على ما يحكى من أنه كان له قرط ، و «ربّ الحسام المصمَّم» كالعلم
في سيف الدولة . ٩

٦ فلو كانَ ما بي من حبيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلٰكِنْ مِنْ حَبيبٍ مُعَمَّمِ

هذا مما يقال فيه :زاد في الطنبور نغمة .لأَن معناه لو كان [٣٠ب] التسبّب
منك يا كافور كنت عذرتك لأَن عدم الوفاء من شيمة النساء ، ولكنه ١٢
من حبيبٍ مُعَمَّم . يكني بالمقنع عن كافور وبالمعمّم عن سيف الدولة كالكنايتين في البيت الذي قبله . وهذا أَظهر من كل ظاهر فلم
أَدرِ كيف تجاسر القائل وكيف لم يتفطَّن به ذلك العاقل ، على أَن ١٥
قوله «ما بي» صريح في الشكاية عما ابتُلِيَ به من قصد كافور .

س ١١ زاد في الطنبور نغمة : من أمثال المولدين ، يضرب لمن يتجاوز الحد . انظر الميداني ١ : ٢٣١

٧ رَمَى وَاتَّقَى رَمْيِي ومِنْ دونِ ما اتَّقى   هَوًى كاسِرٌ سَيْفي[١] وقَوْسي وَأَسْهُمي

أخذ يعلم كافور[٢] سبب المنافرة بينه وبين سيف الدولة ، وذلك إفادة أنه خاف من هجوه . وأشار بقوله : «سَيْفِي وَقَوسي وَأَسْهُمي» إلى معنى من[٣] المعاني ؛ فبقوله : «سَيْفي» يريد به حدَّة لسانه . وقوله : «قوسي»[٤] يريد به قوّة طبعه . وقوله «أسهمي» يريد بها سهام أقلامه . وفيه إلهاب كافور وتحذيره أيضاً من هجائه بأن سلطاناً مثل سيف الدولة ، وهو من الملوك السالم عن العيوب ، إذا خاف منه فكيف من هو عَلَمٌ في الرذائل والمعائب .

٨ إذا ساءَ فِعْلُ المَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ   وصَدَّقَ ما يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

البيت فيه إعلام كافور سرّ اتقاء سيف الدولة من هجوه مع بيان تأثير الأفعال في القلوب ، وهذا كما يصلح لسيف الدولة يصلح لكافور بالطريق الأولى . كأنه ينصحه ويردعه عن الوقوع في مثله .

٩ وعَادَى مُحِبِّيه بِقَوْلِ عُدَاتِهِ   وأَصْبَحَ[٥] في لَيْلٍ مِنَ الشكِّ مُظْلِمِ

البيت ظاهره من تتمة نتائج سوء الظنّ ، إلا أنه لا يخلو من

---

١ في النسخ جميعاً : كفي، وقد أشار عزام إلى وجود رواية المؤلف هذه في النسخة صا التي اعتبرها أصلا لطبعته . وقد أبقيناها لأن المؤلف اعتمد عليها في توجيهه معنى البيت .

٢ في ك : كافوراً ..

٣ من : سقطت من ك .

٤ يريد به ... قوسي : سقطت من ك .

٥ رواية ابن جني : فأصبح .

التَّعريض [٣١ آ] لكافور في ضمن الليل ثم وصفه بالمظلم .

١٠ أُصادِقُ نَفسَ المَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وأعرِفه في فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّم

البيت فيه نوع تلميح إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « الأرواح جنود مجندة ... » الحديث ، ومراده إعلام كافور أن عنده من الفِراسة ما يتسلق بها إلى معرفة ما في باطن من يصحبه عن المخايل التي تظهر في فعله وتكلُّمه ، وفيه دفع سؤال من يقول : لعل سوء الظنِّ كان فيك . ٣ ٦

١١ وَأَحْلُمُ عن خِلِّي وَأَعلَمُ أَنَّه متى أَجْزِهِ حِلماً على [١] الجَهل يَندمِ

البيت فيه إخبار عن خصلة له أُخرى مع إعلام كافور أنه يعامله أَيضاً بتلك الخصلة ويحثُّه على النَّدم في جهله قدره . ٩

١٢ وإنْ بَذَلَ الإنسانُ لي جُودَ عابِسٍ جَزَيْتُ بِجودِ التَّارِكِ [٢] المُتَبَسِّم

البيت مبناه على ما في قلبه التعريض لكافور ، كأنه يلمح إلى قوله في إظهار المضمر : ١٢

تَظُنُّ ابْتِساماتي رَجَاءً وغِبْطَةً وما أَنا إلاَّ ضَاحِكٌ مِنْ رَجائِيا

١٣ وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ نَجِيبٍ كَصَدرِ السَّمْهَرِيِّ المُقَوَّم

البيت ضمَّنه شروط الاستحقاق لمحبته وذلك ما ذكره من الصفات ١٥

---

١ رواية ابن جني : عن الجهل .
٢ رواية العكبري : الباذل .

س ٣ : الأرواح جنود ... حديث صحيح ، أخرجه مسلم .

الجميلة ، مع ما في البيت الذي عقَّبه به . كأنه يقول : إن كنتَ حائزًا تلك الصفات فأنت محبوب وإلاَّ فَنَحٍّ عنك توقُّع محبتي لك .

٣ ١٤ خطَت تَحْتَهُ العيسُ الفَلاةَ وَخَالَطَت
بِهِ الخَيْلُ كَبَّاتِ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ

البيت[1] لا يخلو من أنه يريد أن يُعْلِمَ كافور[2] ، ولو من مكان
٦ [٣١ ب] بعيد ، تعلُّق قلبه بسيف الدَّولة بقرينة ذكر أوصافٍ وصف بها [3] سيف الدولة في بعض قصائده ، وأَن المستحق لمحبتها من كان موصوفاً بتلك الصفات .

٩ ١٥ ولا عِفَّةٌ في سيْفِهِ وَسِنانِهِ ولكنَّها في الكَفِّ والفَرْجِ والفَم

البيت على ما في قلبه إخبار عن أوصاف كافور ؛ قصد بسلبِ العفَّة عن سيفه وسنانه التعريض بكونه سفَّاكاً كما قال بهذا القصد
١٢ فيه :

ومُخْتَرِطٍ مَاضٍ يُطِيعُكَ آمِرًا ويعْصِي إذا اسْتَثْنَيْتَ أَوْصِرْتَ[4] ناهيا

وقصد بالمصراع الثاني التلاعب به من وجوه : الأَول ، وصفه
١٥ بالعفَّة في الفرج . وذلك ليس مما يمدح به الملوك بل مما يمدح به

---

١ في ر : البيتين .
٢ ك : كافوراً .
٣ في النسختين : وصفها به .
٤ ابن جني والعكبري : كنت .

النساءُ خصوصاً إذا اعتبرها في خصي فعُلم منه أنه يريد عَدَّهُ من النساءِ .
والثاني أنه صرفها إلى الفم مقارَناً بالفرج . مع أن الأنسب للعفَّة
تقديم الفرج . ولا مانع فيه بأن يقول : «ولكِنَّها في الفَرْجِ والكفِّ ٣
والفَمِ» . فلما عدل عنه إلى ما ترى علم منه أنه قصد به التلميح إلى
ما قال في إظهار المضمر :

العَبْدُ لا تَفْضُلُ أَخْلاقُهُ عن[1] فَرْجِهِ المُنْتِنِ أو ضِرْسِهِ ٦

حيث جمعها هناك أيضاً في قَرَنٍ واحدٍ .

١٦ وما كُلُّ هاوٍ للجَميلِ بِفاعِلٍ ولا[2] كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

لما ذكر في البيت الذي قبله الفرج فكأنه ذكَّره ما قصده في الذي ٩
عقَّبه به ، فأخذ يتلاعب بذكر ما هو من خصائص الخِصيان ، وهو
السِّحاق ، ومهّد لتنوير هذا القصد قرائن : أولًا ذكره الفرج في الذي
قبله كما قلت ، ثم لفظ «هاوٍ» ، وكذا لفظ «الجميل» فإنه يريد ١٢
الجارية الجميلة . [٣٢ آ] وكذا «فاعل» ، وكذا «ولا كل فَعَّال
بمتمِّم» لأن الخصي لا يتمّ له أمر الإتمام كما هو ميسَّر للفحول .
ومما هو منسوج على هذا المنوال ما قاله في إظهار المضمر : ١٥

وذاكَ أنَّ الفُحولَ البِيض[3] عاجِزَةٌ عنِ الجَميلِ فَكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ

---

١ في النسختين : من ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٢ في النسختين : وما .
٣ في ر : فحول البيض .

١٧ فِدىً لأبي المِسْكِ الكِرامُ فإنَّها[١] سوابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدينَ بِأَدْهَمِ

هل يشكُّ العاقل في أنه ضمَّن البيت أبدع الهزء والتلاعب به ، لأنَّه أوَّلاً جعل كافور إمام كرام الخيل وأثبت للسَّوابق الاهتداء به مع وصفه بأدهم كنايةً عن سواده . وخلاصة قصده الهزءُ به وبمن تبعه بِعَدِّهم من الحيوان ، على ما صرَّح بذلك في مواضع عديدة كنايةً وتصريحاً ؛ منها قوله في هذا الملحظ :

لكَ الحَيوانُ الرَّاكِبُ الخَيْلَ كُلُّهُ وإن كانَ بالنِّيرانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ

١٨ أَغَرَّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ إلى خُلُقٍ رحْبٍ وَخَلْقٍ مُطَهَّمِ

البيت ضمَّنه ما ينوِّر تضليلهم في الاهتداء به ، بذكر ما انخدعوا بما ليس فيه حقيقةً حتى تحيَّروا وبقيت أبصارهم شاخصةً مما شاهدوا في «ورائه» من الخلق الرحب وكمال الجمال . كل ذلك هزءٌ صريح . ولا تغفل عن حسن جعله غرَّته المجد الموهم بأن لا بياض في ذلك الأدهم حتى يصلح أن يُعتبر فيه غرّة . وأما إضافته مشاهدتهم محاسنه إلى «ورائه» فمما لا يمكن وصف حسن موقعه بالنسبة إلى كافور وإليهم .

ومن الشواهد الدالّة على أنه قصد بما أثبته له هنا الهزءَ به ، سلبُه في إظهار المضمر كلَّ ذلك عنه ؛ أما الخُلُق الرحب فقال فيه :

وأسودَ أمَّا القَلْبُ منه فَضَيِّق نَخيبٌ وأمَّا بَطْنُهُ فَرَحِيبُ

---

١ في النسختين : فإنه ، والتصحيح من نسخ الديوان .

[٣٢ ب] وأما الخلق التامّ الجمال فقد قال فيه :

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُـهُ يُقالُ له أَنْتَ بَدْرُ الدُّجى

١٩ إذا مَنَعتْ منكَ السِّياسَةُ نَفْسَها فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ ٣

البيت ضمَّنه ما يدلُّ على هول منظره وقبح صورته بعدما ادَّعى له كمال الجمال في الذي قبله . فانظر ماذا ترى من دقَّة مقاصده المدمجة . ٦

٢٠ يَضِيقُ على مَنْ رَاءَهُ العُذْرُ أَن يُرَى ضَعِيفَ المساعي أَو قليلَ التكَرُّمِ

البيت ضمَّنَ المدح بالكرم وما يُستخرج منه الذمّ بكمال البُخل والشحِّ ؛ لأنه يقول في قلبه : إن الذي رأى كافور ثمَّ رأى ذلك الرَّائي ٩ ضعيفَ المساعي وقليلَ التكرّم وعيب بذلك عليه ، لا يقدر أن يعتذر ويضيق عليه طريق الاعتذار ، لأَنَّ عذره أن يقول : إني تعلمت ذلك من كافور ، وهذا العذر يصير سبباً لهلاكه فلا يقدر أن يعتذر به . ١٢ والقرينة التي وضعها على هذا القصد إثبات التعلُّم لمن وقف قدّامه وقفةً واحدة في البيت الذي قبله .

٢١ ومن مِثْلُ كافُورٍ إذا الخَيْلُ أَحْجَمَتْ

وكانَ قَليلًا من يَقولُ لها [١] اَقْدِمي ١٥

٢٢ شَديدُ ثَباتِ الطَّرْفِ والنَّقْعُ واصلٌ إلى لَهَوَاتِ الفَارِسِ المُتَلَثِّمِ

---

١ في النسختين : له .

يقول في قلبه : من مثل كافور إذا أحجمت الخيل بحيث لا يجترىء أَحَدٌ أن يقولَ لها أَقدِمي ، مع كون ذلك الخيل شديد ثبات النظر لكثرة اقتحامه الحروب التي وصلت النَّقع فيها إلى لهوات الفارس المتلثِّم ، فما ظنُّكَ في الإنسان عندما يشاهد ذلك المنظر الهائل ؟ يريد به وصفه بقبح الصورة وهول المنظر الذي [٣٣ آ] لا يطيق النظر إليه تلك الخيل الموصوفة [١] بالأوصاف المذكورة ، كأنه يلاحظ فيه ويتذكَّر ما قال :

فَتَراها بنُو الحُروبِ بِأَعْيا ... نٍ تَراهُ بِها غَداةَ اللِّقاءِ

ولا تغفل عن حُسن موقع لفظ المثل هٰهنا .

٢٣ أبا المِسْكِ أَرْجو منكَ نَصْرًا على العِدى
وآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ البِيضَ بالـدَّمِ

على ما في قلبه يجعلَ مَنْ في «مِنْك» بمعنى في ، و «على» في قوله : «على العدى» بمعنى مع ، فيقول : يا أبا المسك أنا أرجو من الله نصرًا ينصرني مع أعدائك وآمل به عِزًّا يخضب سيفي بدمك . والقرينة على هذا القصد جعل أمله في ضمن عِزٍّ صفته أن يخضب البيض بالدم ، وإليه أشار في إظهار المضمر بقوله :

أَلا فَتىً يُورِدُ الهِنْديَّ هامَتَهُ ... كَيما تَزولَ شُكوكُ النَّاسِ والتُّهَمُ

---

١ ك : الموصوف .

٢٤ وَيَوْماً يَغِيظُ الحَاسِدِينَ وحَالَةً أُقِيمَ الشَّقا فيها [١] مَقَامَ التَنَعُّمِ

عطف قوله : «ويوماً» على قوله «عِزًّا» . يقول : وآمل يوماً يغيظ الحاسدين من نيلي إلى ذلك العِزِّ ، وحالةً أُقيم التعب الذي أُقاسيه فيه [٢] مقام التنعّم لكونه سبباً لاحرازي [٣] ذلك العز الشامخ الحاصل في ضمن إزالة شكوك الناس والتُّهم ، ففيه ما يؤيِّد ما في البيت السَّابق .

٢٥ ولم أَرْجُ إلاَّ أَهْلَ ذاك ومَنْ [٤] يُرِدْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحائِبِ يظْلِمِ

البيت فيه بيان اختصاص كافور بذلك الأَمل مع نوع تشبيهه بالسَّحاب . على اصطلاحه في كافور ، فيكون قصده على المشي السابق ما أَراد في قوله [٥] :

فَزارَكَ [٦] مِنِّي من إليْكَ اشْتِياقُهُ وفي النَّاسِ إلا فيكَ وَحْدَكَ زُهْدُهُ

[٣٣ ب] .

ومن اصطلاحه في الزيارة ، زيارة السيف ، كما قال حَصْرًا :

فلا [٧] زِيارَةَ إلاَّ أَنْ تَزُورَهُمُ أَيْدٍ نَشَأْنَ مَعَ المصْقولَةِ الخُذُمِ

٢٦ فلو لم تَكُنْ في مِصْرَ ماسِرْتُ نحوَها بِقَلْبِ المشُوقِ المُسْتَهامِ المُتَيَّمِ

---

١ ر : فيه .
٢ فيه : سقطت من ك .
٣ ك : لاحراز .
٤ في النسختين : فمن، وقد عدل عن هذه الرواية فيما بعد .
٥ ك : بقوله .
٦ في الأصل : وزارك .
٧ في النسختين : ولا ، وقد اضطرب في روايتها ، وصححناها على نسخ الديوان .

ظاهره امتنان على كافور بقصده مع بيان اشتياقه الزائد إليه ، وباطنه ما عنى في قوله :

٣ ولكنَّ بالفُسْطَاطِ بَحْرًا أَزَرْتُهُ حَيَاتي ونُصحي وَالهَوَى والقَوَافِيا
بِعَزْمٍ يَسيرُ الجِسْمُ في السَّرْجِ راكِباً به ويَسيرُ القَلْبُ في الجِسْمِ مَاشِيا

وهذا القلب هو ذاك القلب بعينه ، فانظر إلى ما قصده هناك يظهر
٦ لك ما في قلبه هٰهنا .

٢٧ ولا نَبَحَتْ خَيْلي كِلابُ قَبيلةٍ[1] كَأَنَّ بِها في اللَّيْل حَمْلاتِ دَيْلَم

ظاهره من تتمة ما قاساه ومن شعب الامتنان ، إلا أن باطنه
٩ التعريض بما حوله بعدِّهم من الكلاب . قل لي إذا لم يكن قصده ذلك فما الذي أَلجأَه إلى الامتنان بمقاساة خيله من نباح كلاب قبيلة[2] . على أن ذكر الكلب في مجلس سلطان ، وإن كان كافور أو غيره ،
١٢ من أقبح إساءة الأَدب .

٢٨ ولا اتَّبَعَتْ آثارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فلم تَرَ إلاَّ حافِرًا فَوْقَ مَنْسِمِ

البيت من تتمة ما قاساه في طريق الوصول إليه ، مع إفادة مهارته
١٥ وتدرُّبه في الانسلال عن أَيدي من يتبعه[3] .

٢٩ وَسَمْنا بها[4] البَيْداءَ حَتَّى تَغَمَّرَتْ من النِّيلِ واستَذْرَتْ[5] بِظِلِّ المقطَّم

---

١ في نسخ الديوان : قبائل ، ولكنه تمسك بهذه الرواية في توجيهه لمعنى البيت .
٢ ك : خيله .
٣ ك : من أيدي من تبعه .
٤ في النسختين : به .
٥ في النسختين : فاستذرت .

البيت ضمَّنه أدقّ المقاصد وأبدعها حيث جعل نتيجة ما بسطه من المشاقِّ والمتاعب الشرب القليل من النيل دون الرِّيّ ، والنزول في طرف المقطَّم . ولا تسأَل عن لطف قصده في الاستظلال بظلِّ المقطَّم ٣ فإنَّه أراد تشبيه كافور بهذا الجبل الذي ليس [٣٤ آ] فيه ماءٌ ولا كلأٌ .

٣٠ وَأَبْلَجَ [١] يَعْصِي بِاخْتِصاصي [٢] مُشِيرَهُ ٦
عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشيري وَلُوَّمي

الأبلج : الجميل ، إن أراد به كافور[٣] ففيه ما فيه . ثم أعلمه أن له لُوَّماً كثيرًا كانوا [٤] يلومونه في قصده كافور ، وهؤلاءِ اللوَّم هم ٩ الذين قال فيهم بعدما انجلى عنده حقيقة كافور ، وتحقق صدق مقالتهم :

مَلُومُكُما يَجِلُّ عَنِ الملامِ وَوَقْعُ فَعالِهِ فَوْقَ الكَلامِ ١٢

٣١ فَسَاقَ إِليَّ العُرْفَ غيرَ مُكَدَّرٍ وَسُقْتُ إِليهِ الشُّكْرَ غَيْرَ مُجَمْجَمِ

أراد بالعرف هٰهنا الصبر والتعذيب ، ووصفه بالصَّفاءِ يريد به أن الذي ساقه إليه غير مشوبٍ بلطفٍ وإحسان . ولوَّح في المصراع الثاني ١٥

---

١ في الواحدي والعكبري : وأبلخ ، وهو العظيم .
٢ في ابن جني : في اختصاصي .
٣ ك : كافوراً .
٤ كانوا : سقطت من ك .

إلى أن مدائحه كلَّها مشوبةٌ بالذمِّ ، بمعنى أنه قابله وكافأه بمثل صنيعه . يفهم ذلك من قوله : «غير مُجَمْجَمِ» لأن معناه على ما قاله ٣ أبو الفتح : مدحاً لا عيب فيه ولا إشارة إلى الذم يريد به عكسه .

٣٢ قَدِ ٱخْتَرْتُكَ الأَمْلاكَ فَٱخْتَرْ لَهُمْ بِنَا
حَدِيثاً وقد حَكَّمْتُ رَأْيَكَ فَاحْكُمِ

٦ البيت فيه ما يُكذِّبُ قوله :

* فَسَاقَ إلَيَّ العُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرِ *

لو لم يحمل على ما ذكرته في معناه الباطني[1] ،فإن هذا التحكيم يدلُّ ٩ على أنه ما رأىمنه شيئاً يليق أن يذكر بهعند الملوك إلى يومالتحكيم.

٣٣ فأَحْسَنُ وَجْهٍ في الوَرى وجْهُ مُحْسِنٍ
وأَيْمَنُ كفٍّ فيهِمُ كفُّ مُنْعِمِ

١٢ الظاهر أنه أراد بقوله : «في الورى» حالة الغياب عنه بقرينة قوله : «فاخْتَرْ لَهُم بِنا حَديثاً» مع الإيماء إلى أنه على جناح السَّفر والتَّرحال عن كافور .

١٥ ٣٤ وَأَشْرَفُهُمْ مَن كانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وأَكْثَرَ[2] إقْداماً على كُلِّ مُعْظَمِ

[٣٤ ب] أخذ يتلاعب بكونه خالٍ[3] عمَّا يمدح به الملوك من

---

١ ك : الباطن .
٢ ك : وأعظم .
٣ كذا في النسختين ، والصواب : خالياً .

س ٢ : ما قاله أبو الفتح ... في شرح ابن جني : « مجمجم أي ليس فيه عيب ولا إشارة إلى ذم ».

نسبٍ أَو حسب أَو شرف تليد ، فبأَيّ شيء يمدح ، على ما شرحه الواحديّ به ؟

٣٥ لمن تَطْلُبُ الدُّنْيَا إذا لم تُرِدْ بِها   سُرورَ مُحِبٍّ أَوْ مَسَاءَةَ[1] مُجْرِمِ   ٣

البيت فيه[2] مما يقال فيه : كل الصَّيد في جوف الفرا ؛ لأَنه فيه المواجهة بكمال الشحِّ والإمساك والتعرض لغفلته عما عليه العقلاءُ في طلب الدُّنيا ، وذلك : «سُرور محبٍّ أَو مساءة[3] مجرم» ، وأَنه   ٦ محروم عنهما .

٣٦ وقد وَصَلَ الْمهْرُ الذي فَوْقَ فَخْذِهِ   من اسْمِكَ ما في كُلِّ عُنْقٍ وَمِعْصَمِ[4]

البيت ضمَّنه علاوةً في ذمّ شحّه بهذه الحالية[5] ليكون أَدخل في   ٩ الذمّ مع الاستخفاف بمهره ، حيث جعل محلَّه فخذ الدَّوابّ على ما هو المعتاد في خيول الملوك . وضمَّ إليه وصول ما في كلٍّ عنق ومعصم ، يريد به أَنه استأْصل أَموال النَّاس كلها حتى انتزع ما على نسائهن   ١٢

---

١ ك : إساءة ، وهي رواية أشار عزام إلى وجودها في نسخة باريس .
٢ فيه : سقطت من ك .
٣ ك : إساءة .
٤ رواية العكبري : بيد ومعصم .
٥ ك : الحالة .

س ١ : على ما شرحه الواحدي به : قال الواحدي في شرحه لهذا البيت : «يريد أنه خال مما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد ، فإن لم يستحدث لنفسه شرفاً مطرفاً بعلو همة أو إقدام لم يكن له خصلة يمدح بها» .
س ٤ : كل الصيد .... : مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه . انظر الميداني ٢ : ٥٥ .

من الأَطواقِ والسِّوار وأَدخله تحت ختمه وكنزه . وهذا وصف مشهور في الظَّلَمة قالوا : وفي قوله : «وقد وصل» حالية لتأْكيد استبعاده الحرص على الدنيا وكنزه الواصل إليه . ونظير هذه الحاليَّة والحالة هذه قوله :

* وَغَيْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَزُورَكَ راجِلٌ *

في معرض التعليل لما ادَّعى في كافور أنه يهدم المعالي في نداه .

٣٧ لكَ الحَيَوانُ الرَّاكِبُ الخَيْلَ كلُّهُ وإنْ كانَ بالنِّيرانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ

بعدما عيَّره ووبَّخه باستئصاله ما على الأَبدان ، أَخذ يذكر استيلاء يده على الرِّقاب ، وهو أَيضاً من تتمة استبعاد الشحّ عنه ، مع تضمينه الكلام عدَّ مَن أطاعه من الحيوانات . وأَفاد بالمصراع الثاني أَنهم أَحِقَّاءُ بأَن يُوسموا بالنيران إلا أَنَّهم سَلِموا [٣٥ آ] من ذلك لعلَّة المشاركة في الجنسية .

٣٨ ولو كُنْتُ أدري كَمْ حَيَاتي قَسَمْتُها
وصيَّرْتُ[١] ثُلْثَيْها انتظارَك فاعْلَمِ

هذا بيت القصيد الذي لا يُبقي شائبةَ شكٍّ فيما بيَّنته من مقاصده القلبية ، لأَنه واجهه فيه بما يدلُّ على كثرة مواعيده الكاذبة الجارية بينهما في المدَّة المديدة ، حتى احتاج إلى ضمِّ ثلثي عمره إلى أَيَّام المواعيد .

١ رواها آنفاً بالفاء ، وهي رواية ابن جني ؛ اما بالواو فهي رواية الواحدي والعكبري .

٣٩ ولكنَّ ما يَمْضي مِنَ العُمْرِ[1] فَائِتٌ   فَجُدْ لي بِحَظِّ البَادِرِ المُتَغَنِّمِ

البيت ضمَّنه التحسُّر على ما مضى من عمره في صحبته تحت الانتظار ، مع الحثِّ على المبادرة لما خيره فيه من الحديث بين يدي الملوك ، بإفادته أنه مُحقِّقٌ ما عزم عليه من الفرار . ٣

٤٠ رَضِيتُ بما تَرْضى به لي مِحْنَةً[2]   وقُدْتُ إليكَ النَّفْسَ قَوْدَ المُسَلِّمِ

البيت صريح في أنه مستغرق في المحن ، وأنه قد وطَّن نفسه على التصبُّر بمقاساة محن أزيد مما قاساه أوَّلاً ، مع التنبيه على أنه مستحقٌّ لذلك معترف بجنايته على نفسه حيث أنه تسبَّب في تحصيله بقصده كافور . ٦

٤١ ومِثْلُكَ من كانَ الوَسِيطَ فُؤادُهُ   فَكَلَّمَهُ[3] عَنِّي وَلَمْ أَتَكَلَّمِ ٩

ضمَّن الشريطة إحالة علم ما صدر عنه من أنواع المحن والأذيَّة في حقِّه إلى فؤاده لأنه أعلم به منه ، وأنه لا يقدر على بيان كنهه بالكلام ولا تحصره الدفاتر والأقلام . ١٢

---

١ هذه هي رواية العكبري . وفي ابن جني والواحدي : الدهر .
٢ في النسخ جميعاً محبة ، بالتحتية ، ولكنه أصر على روايته هذه في المواضع الأربعة التي أوردها فيها ، وبنى عليها أحكاماً .
٣ ابن جني : وكلمه .

واتصل قوم من الغلمان بالصبيّ مولى الأَسود فأَنكر ذلك وأَرسل يطالبه وجرت بينهما وحشة أياماً ، ثم سلَّمهم إلى الأَسود فأَتلفهم
٣ واصطلحا وطولب أَبو الطيب بذكر الصلح فقال : [٣٥ب]

١ حسَمَ الصّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأَعادي وأَذاعَتْهُ أَلْسُنُ الحُسَّادِ

٢ صارَ ما أَوْضَعَ المُخِبّونَ فيهِ مِن عِتابٍ زِيادَةً في الوِدَادِ

٦ ٣ وكَلامُ الوُشاةِ ليسَ على الأَحْـ بابِ سُلْطانُهُ ، على الأَضدادِ

البيت ضمَّنه التلميح إلى قوله تعالى : ﴿إنَّما سُلْطانُهُ على الَّذينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ (النحل ١٠٠) قصد به إلحاق الوشاة بالشياطين .

٩ ٤ إنَّما تُنْجِحُ المقالَةُ في المـر ءِ إذا وَافَقَتْ هَوًى في الفُؤادِ

٥ وَلَعَمْري لقد هُزِزْتَ بما قيـ لَ فأُلْفِيتَ أَوْثَقَ الأَطْوادِ

البيت ليس فيه شيءٌ سوى التعريض بخبثه وما قصده في تشبيه
١٢ كافور بأَوثق الأَطواد من جهة عظم الجثة والصلابة واليُبْس .

٦ وأشارَتْ بما أَبَيْتَ رِجالٌ كنتَ أَهْدَى منهم إلى الإِرْشادِ

البيت ابتداءُ المدخل لما التزمه في الكافوريات من صوغ الكلام على قاعدة محتمل الضدَّين ، لأنه قصد فيه إلحاقه بالنساءِ ، بقرينة ذكر مخالفته لما أشارت إليه الرجال ، وإثبات الهداية له على وجهٍ يؤذن بأنَّه فلتةٌ اتفقت له . على أن الأصل كون الرشاد في مخالفتهن كما ورد في الحديث المشهور . ونوّر كون قصده ما قلته بما عقَّبه به حيث قال :

٧ قد يُصيبُ الفَتَى الُمشيرُ ولم يَجْـ ـهَدْ ويُشْوِي الصَّوابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ

٨ نِلْتَ ما لا يُنَالُ بالبِيضِ والسُّمْـ ـرِ وَصُنْتَ الأَرْواحَ في الأَجْسادِ

البيت مَصوغ على أُسلوبٍ يَحتمل أن يكون معناه : صنت روحك وأرواح عسكرك من سيفهم ، وهو الظاهر ، لأنه [٣٦ آ] أتلف الغلمان الذين اتصلوا بالصَّبي واستأْصلهم . ويحتمل أن يكون معناه : صُنْتَ أرواح الذين تحزَّبوا وصمَّموا قتالك بالصلح عن سيفك .

٩ وَقَنَا الخَطِّ في مَرَاكِزِها حَوْ لَكَ والمُرْهَفاتُ في الأَغْمادِ

وفيه أيضاً إمكان تمشِّي ما ذكرته في الذي قبله على معنى [١] أنك كنت محاطاً بالقنا الخطِّي والمرهفات ولكنَّ الله سلَّم .

١٠ ما دَرَوْا إذْ رَأَوْا فُؤادَكَ فِيهِمْ ساكِناً أَنَّ رَأْيَهُ في الطِّرادِ

---

١ معنى : سقطت من ك .

البيت فيه تصريح أنهم اغتروا بظاهره ، وما دروا أنَّ رأيك في قتلهم واستئصالهم فسلَّموا نفوسهم ونلت المراد . ولو أنهم دروا لكانت الدائرة[١] عليك ، وهذا ظاهر يؤيد ما قلته في الذي قبله[٢] .

١١ فَفِدى رَأْيِكَ الَّذي لم تُفِدْهُ كُلُّ رَأْيٍ مُعَلَّمٍ مُسْتَفَادِ

العارف لا يخفى عليه أنه يقصد الهزء برأيه ؛ يفهم ذلك من الفاءِ التفريعيّة في قوله : «فَفِدىً» على قوله : «ما دَرَوا إذْ رَأَوْا فُؤادَكَ ساكِناً» مع إفادة أنه قتلهم بالغيلة .

١٢ وإذا الحِلْم لم يَكُنْ في طِباعٍ لم يُحَلِّم تَقَدُّمُ المِيلادِ

ليس في البيت إلا التلاعب بعقله والتعريض بحداثة سنِّه المبعِّدة عنه ما ادَّعى ثبوته له من الرأي الرّصين .

١٣ فبهٰذا ومِثْلِهِ سُدْتَ يا كا فورُ واقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ القِيادِ

١٤ وأطاعَ الذي أطاعَكَ والطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلائِقَ الآسادِ

يهزأ برأيه وحلمه وسيادته مع ضم[٣] اقتياده كلَّ صعب القياد به ، لأنه بيَّن في إظهار المضمر كل واحد مما أثبته له هٰهنا . أما الحلم

١ ر : الديرة .

٢ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : ومما جعله قرينة الهزء أنه قال في البيت الذي قبله : ما دروا أن رأيك في الطراد ، وهذا الرأي ليس إلا مكراً وخديعة ، ثم فدى لرأيه كل رأي مستفاد وفيه قصد تمخيض المكر لكافور كما لا يخفى . اه .

٣ ضم : سقطت من ك .

[٣٦ ب] فقال فيه[١] :

* إذا ما عَدِمْتَ الأَصْلَ وَالعَقْلَ وَالنَّدَى *

وقوله : ٣

فلَمَّا[٢] نَظَرْتُ إلى عَقْلِهِ رأيْتُ النُّهى كُلَّها في الخُصى

وأما ما اعتبره في الاقتياد فبيَّنه بقوله :

يَقُودُ إليهِ طاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وإنْ لم[٣] يَقُدْها نائِلٌ وعِقابُ ٦

وأما في من أطاعه فقد قال في إظهار المضمر :

وأنَّ ذا الأَسْوَدَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطِيعُهُ ذي العَضارِيطُ الرَّعاديدُ

وأشار إلى قصده ذلك هٰهنا في ضمن الإبهام[٤] الذي يستفاد من ٩
قوله : «وأطاعَ الذي أطاعَكَ» ، ثم من قوله : «والطاعة ليست خلائق
الآساد» . يعني أنَّ الإطاعة[٥] لمثله من خلائق الكلاب .

١٦ إنَّما أنتَ والِدٌ والأَبُ القا طِعُ أحْنَى من واصِلِ الأَولادِ ١٢

البيت ضمَّنه أبدع التلاعب بكونه خصيّاً . أولًا جعله والدًا ثم ادَّعى

---

١ فيه : سقطت من ك .

٢ في الواحدي : ولما .

٣ انظر الحاشية (١) في ص ٣١ .

٤ أمامها في هامش ر تعليقة تقول : «فإن في هذا الابهام إيهام أن في الناس جيلا أطاعوه وهم الآساد» . اهـ .

٥ ك : الطاعة .

الحنوّ له ولكن يريد به حنوّه على عضوه المقطوع عنه ، بجعل القاطع من صيغة ذي كذا . وأراد من واصل الأولاد ما يقابل القاطع ، وهم المواصلون .

١٧ لا عَدا الشَرُّ مَنْ بَغَى لَكُما الـ شَرَّ وخَصَّ الفَسادُ أَهْلَ الفَسادِ

يدعو ويرجو ألا يتجاوز الشرّ عنهما إلى من بغى لهما الشرّ ، وأن يكون الفساد مخصوصاً لأهل[1] الفساد . يريد به كافور[2] ومن حوله . إذ لولا أنه قصد ذلك لقال : «لا عدا شر من بغى لكما الشرّ» . بدون حرف التعريف في «الشرّ» الأول .

١٨ أنْتُما ، ما اتَّفَقْتُما الجسم والرُّ وحُ فلا احْتَجْتُما إلى العُوَّادِ

يقول في قلبه : أنتما حين اتفقتما يحصل منكما جسم واحد ، وأما الروح [٣٧ آ] فلا ، أي لا وجود له ، فحينئذٍ يجعل قوله : «احتجتما إلى العوّاد» استفهاماً تعجّبياً . كأنه يتعجّب من احتياج الجسم[3] الذي ليس فيه روح إلى العوّاد . وهذا وإن كان فيه تكلف إلا أني أرى من بعض الشرّاح ما هو أبعد منه بمراحل . والذي شجّعني فيه أنه كان يمكنه أن يقول : أنتما ما اتفقتما الروح ..

١٩ وإذا كانَ في الأَنابيبِ خُلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ في صُدورِ الصِّعادِ

---

١ ك : بأهل .

٢ ك : كافوراً .

٣ الجسم : سقطت من ك .

ليس فيه إلا التعريض بأُصوله كنايةً عنها بالأنابيب ، يعني أن أثره لا بدَّ وأن يظهر في الأَولاد ، كما قال في هذا المعنى ، وناهيك بكونه في كافور :

أَرَى الأَجْدادَ يَغْلِبُها كَثِيرًا[١] على الأَوْلادِ أَخْـلاقُ اللِّئَامِ

والقرينة لفظ الخُلف والصُّدُود . وقد اشتهر اعتبار الأَنابيب كناية عن الأُصول والأَجداد كما في قول شاعرهم :

وَرِثَ الفَضائِلَ كابِرًا عَنْ كابِرٍ كالرُّمْحِ أُنْبُوباً على أُنْبوبِ

٢٠ أَشْمَتَ الخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا وَشَفَى رَبَّ فارِسٍ من إِيادِ

٢٢ ومُلوكاً كَأَمْسِ في القُرْبِ[٢] مِنَّا وَكَطَسْمٍ وَأُخْتِها في البِعادِ

٣٢ كَسَفَتْ ساعَة كما تَكسِفُ الشَّمْـ ـسُ وعادَتْ ونُورُهَا في ازْدِيادِ

فيه ما يعرِّض بعدَّةٍ من النساءِ ، مع ما في تشبيهه بالشمس المكسوفة .

٣٣ يَزْحَمُ الدَّهْرُ رُكْنَها عَن أَذاها بِفَتىً مارِدٍ عـلى المُرَّادِ

ليس فيه إلا أنه ألحقه بالشيطان الذي وصف في القرآن بالمارد ، مع ضمّ المغالبة المفهومة من قوله : «مارد على المُرَّادِ» .

٣٤ مُتْلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِيٍّ أَبيٍّ عالِمٍ حازِمٍ شُجاعٍ جَوادِ

---

١ في العكبري : جميعاً .
٢ في النسختين : بالقرب .

[٣٧ ب] لما ذكر في البيت[١] الذي قبله صفةً من صفات ما قصده به ، كأنّه ذكر صفةً أُخرى من صفاته ، وهو كون المبذِّرين إخوانه ، فقال البيت . وأراد بمتلف إتلافه عرضه ، وبمخلف إخلافه في مواعيده ، وبالوفيِّ الغني الكامل الغنى التام ليكون أدخل في ذمِّه بالإباء عن أداءِ ما وعده[٢] :

جُودُ الرِّجالِ مِنَ الأَيْدي وجُودُهُمُ   مِنَ اللِّسانِ فلا كانُوا ولا الجُودُ[٣]

وبـأَبيٍّ : إباءَه من الوفاءِ . ولما ذكر بعد قوله « عالم حازم » ، علم أنه يريد به أنه ماهر في شدِّ الحِزامِ ، وبالشُّجاع : الحيّة السوداء ، وبالجواد : ما قصده في قوله :

* وما الخَيْلُ إلا كالصَّديقِ قَليلَةٌ *

يعني أنه من جنس الحيوان . وقد صرّح نفسه عدَّه من الخيول حيث قال :

* سَوابِقُ خَيْلٍ يهْتَدينَ بِأَدْهَمِ *

والجواد من الأَوصاف[٤] الغالبة في الخيل حتى صار كالعلم له .

٣٥ أَجْفَلَ النَّاسُ عن طَرِيقِ أَبي المِسْـ   ـكِ وذَلَّتْ لهُ رِقابُ العِبادِ

---

١ البيت : ليست في ر .
٢ ادخل ... أداء : مطموسة في ر .
٣ البيت ساقط من ك ، ومطموس في ر .
٤ ر : أوصاف .

يُلْمح به إلى قوله :

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إلى المجْدِ وَالعُلى   وقد خالَفَ النَّاسُ النُّفوسَ الدَّواعيا

فإنه أَراد به أَنَّ النَّاس خالفوا النفوس الدواعي إلى ما هو مقتضى الحزم ، فرخَّصوا له في الوصول إلى المجد والعلى حتى صار فوقهم يستعبدهم وهم أَحرار وهو عبد أَسود . وإلى هذا المعنى بعينه أَشار بقوله :

« وذلَّتْ لَهُ رِقابُ العبادِ »

وفي اختياره «أَجفل» ما يشير إلى التعريض بكونهم من جنس الحيوان الموصوف بغاية الجبن ، لأَن أَصل الحرف في النعامة . ومما ينوّر هذا القصد قوله :

وأَنَّ ذا الأَسْوَدَ المثْقُوبَ مِشْفَرُهُ   تُطِيعُهُ ذي العَضَاريطُ الرَّعاديدُ

الرعديد[1] : الجبان ، وكذا قال :

وأَطاعَ الذي أَطاعكَ والطَّا   عةُ ليست خلائقَ الآسادِ

وجعل قرينته الإِبهام في قوله: « الذي أَطاع »

٣٦ كيف لا يتركُ الطّريقُ لسيلٍ   ضيِّقٍ عن آتيِّهِ كلُّ وادِ

[٣٨ آ) ولقد أَبدع في هذه الشريطة بملاحظة معنى تفرَّد به ،

---

١ في ر : الرعاديد .

وذلك أن الأَتِيّ هو الذي يكون في القوم ليس منهم ولا يعرف له نسب .
ولهذا يقال للسيل الذي يأْتي من بلد مُطِر فيه إلى بلد لم يُمطر فيه
«أَتِيّ» . حيث جعل كافور ممن لا ينسب إلى أَبٍ معروفٍ ونوّر هذا ٣
القصد في قوله :

وَيُغْنِيكَ عما ينْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ   إليكَ تَناهَى المكْرُماتُ وَتُنْسَبُ

على ما قالوا أن مقصوده الطعن في نسبه . ٦

س ٢ : في اللسان : «الأتي الرجل يكون في القوم ليس منهم ، ولهذا قيل للسيل الذي يأتي من بلد قد مطر فيه إلى بلد لم يمطر فيه أتي» . اه .

س ٦ : قال ابن جني في شرحه لهذا البيت : «يقول إنه وإن لم يكن لك نسب في العرب فإنك أصل في المكارم وإليك تنسب وأنت أكبر من أن تنسب إلىأحد». اه .وقال الواحدي : «يغنيك عن نسبة الناس إلى قبائلهم وعشائرهم أن المكرمات انتهت إليك ونسبت إليك أيإن لم يكن لك نسب في العرب فإنك أصل في المكارم». اه . وقال العكبري ، نقلا عن الخطيب التبريزي : «ليس هذا مما يمدح به ولا سيما الملوك ، لأنه أشبه بنفي النسب عنه» . اه .

(٨)

وقال يمدحه وقد حمل إليه ستمائة دينار :

١ أُغالِبُ فيكَ الشَّوقَ والشَّوْقُ أَغْلَبُ
وَأَعْجَبُ من ذا الهَجْرِ وَالوَصْلُ أَعْجَبُ ٣

الذي يظهر من العنوان الذي ذكره جامع ديوانه من أنه حمل إليه ستمائة دينار أن أَركان هذا البيت موضوعةٌ على ما أحدث الصّلة فيه من التردّد بين المقام عنده وبين الرحيل . فيقول : أنا أُغالب فيك ٦ الشوق والشوق يغلبني . ولكن الذي يقضى منه العجب هجرك من يرغب فيك . ثم بعد ذلك الهجر وصلك . يريد كون ما حمل إليه أعجب . ويحتمل أن يكون معناه : أنا أُغالب فيك الشوق والشوق ٩ يغلبني . والعجب بعد ذلك هجرك ثم وصلي بعد هجرك أَعجب . ولا بدَّ أن يعتبر في الأَوّل من قوله «أَعجب» الزيادة المطلقة ليكون في الثاني التفضيل . ١٢

٢ أما تَغْلَطُ الأَيَّامُ فيَّ بِأَنْ أَرى بغيضاً تُنائي أَو صَديقاً تُقَرِّبُ

البيت فيه ما يدلّ على رجحان كِفة شوق الفِرار منه . مع إفادة

أنه لم يحصل له بما حمل إليه ما يحمله على المقام عنده[١] ، لأنَّ البيت لو كان [٣٨ ب] إنشاده في غير مجلس كافور لكان معناه توقع الوصول إليه . فلما كان عنده خصوصاً بعد سبق مغالبته الشوق فيه ، يكون معناه توقُّع أن يبعد الحاضر ويقرّب الغائب .

٣ ولله سَيْري ما أَقَلَّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الحَدَالى وَغُرَّبُ

فيه ما يُنَوِّر ما قصده في الذي قبله بذكر قلَّة ثباته في مكان ، مع التلاعب بلونه ؛ وذلك أَنَّه رمز بقوله : «شرقيَّ الحَدالى» إلى سيف الدولة ، وبقوله : «غُرَّبُ» إلى كافور . وفي البيت الذي ذكره بعده ما يشير إلى أنه بين كافور وسيف الدولة مع استقصار المسافة التي بينهما ، كما قال :

وأَنّي إذا باشَرْتُ أَمْرًا أُريدُهُ تَدانَتْ أَقاصِيهِ وهانَ أَشَدُّه[٢]

٥ وكمْ لِظَلامِ الليْلِ عِندكَ مِنْ يَدٍ[٣] تُخَبِّرُ أَنَّ المانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

فيه ما يدلُّ على تذكُّر الوقائع التي اتَّفقت له بمعونة ظلام الليل ، يريد به تشجيع نفسه على تحقيق ما عزم عليه ، وأَبرزه في صورة مدح الظلام رِشوةً للأَسْود ، إلا أَن باطنه نسبته إلى القيادة في ضمن الامتنان من ظلام الليل كما قال :

---

١ في ر : معه .
٢ انظر الحاشية (٣) ص ٩٠
٣ ر : عندي منة ؛ ك : عندي . وقد صححنا روايته على الرواية المتواترة في نسخ الديوان .

أَزُورُهُمْ وسَوادُ[١] اللَّيْلِ يَشْفَعُ لي وأَنْثَني وبَياضُ الصُّبْحِ يُغري بي

فراجع ما قصده هناك ترى أعجب العُجاب .

٦ وقَاكَ رَدى الأَعداءِ تَسْري إليهِم وزَارَكَ فيهِ[٢] ذُو الدَّلالِ المُحَجَّبُ ٣

مدح ثانٍ للظلام بالوقاية من الأَعداءِ ، ولكن لا يبعد أنه قصد بالمصراع الثاني التلميحَ إلى ما أفصح عن الزيادة في إظهار المضمر لاشتراك الأَلفاظ فيه حيث قال : ٦

[٣٩ آ] وزائرتي[٣] كأَنَّ بِها حَياءً فَلَيْسَ تَزُورُ إلاَّ في الظَّلامِ

٧ وَيَوْمٍ كَلَيْلِ العَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أُراقِبُ فيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ

يقول : ربَّ يوم كليل العاشقين كمنته ، إنما شبَّهه بالليل ٩ لإيهام أَنها كانت من أيام الغَمِّ والهمّ ، يريد ما يكابده عند كافور ، إلا أَنه صرفه إلى ما يبعد عنه ذلك بقوله « كمنته » لاختلاس الفرصة . كأَنه يخبر كافور[٤] ما سبق منه حين فرّ من سيف الدولة ، إلا أَنه ١٢ لا يخلو من إفادة أَنه غير مستبعد ممن له تَدرُّب في أَمثاله .

٨ وَعَيْني إلى أُذْنَيْ أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ باقٍ بينَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ

البيت وإن كان ظاهره من تتمة حكاية الحال الماضية ، إلا أَنَّ ١٥

---

١ في النسختين : وظلام . وقد أورد سابقاً الرواية التي أثبتناها .
٢ في النسختين : فيها ؛ ورواية العكبري : تسري عليهم .
٣ في النسختين : وزائرة .
٤ في ك : كافوراً .

باطنه إخبار عما عليه الآن في حبس كافور مع عدّه من جنس الخيول بذكر شيء بوصف الخيل . وقد وصف به كافور نفسه حيث قال :

٣ * أَغَرَّ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَصْنَ وَرَاءَهُ *

وكذا في المصراع الثاني ذكرُ شيءٍ يَستجلبُ في خيال السَّامع هيئةَ بروقِ عين السّودان . وعدُّه كافورَ من الخيل ففي غاية الكثرة ، منها قوله :

* سَوابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمٍ *

٩ لهُ فَضْلَةٌ عن جِسْمِهِ في إهابِهِ[1] تَجيءُ على صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ

٩ البيت أيضاً مما أُسِّس بنيانه على التلاعب بكون كافور من الخيل ، لما ضمَّنه ذكر ألفاظ كلُّها مصرّحة في كافور . أمَّا « الفضلة » فقد اصطلح على أنه كلما يذكر الفضلة يريد به مشفره الذي قال فيه :

١٢ * وأسودُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ *

وأما الصدر الرّحيب فقد قال فيه :

* وأَوسعُ ما تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ *

١٥ وقصد [٣٩ ب] بمجيء الفَضلة على الصدر الرحيب وذهابه حركة ذلك المشفر ، الذي وصفه بكونه نصفه ، حين التكلُّم .

---

١ في النسختين : في جسمه عن إهابه . ورواية ابن جني في النسخة التي لدينا : في جسمه في إهابه .

١٠ شَقَقْتُ به الظَّلماءَ أُدْني عِنانَهُ   فَيَطْغَى وأُرْخِيهِ مِرارًا فَيَلْعَبُ

يقول في قلبه : اطَّلعت بذلك الكمون والتأمّل على ما في باطن كافور ، كنى بالشَّقِّ عن الاطِّلاع ، وبالظَّلماءِ عن كافور . ثم أخذ يُبيِّن طريق اطلاعه على ما في باطنه باستعماله الشدَّة واللِّين ، يعني المعاتبة والمجاملة فكنى عنهما بالإدناء والإرخاء .

١١ وأَصْرَعُ أَيَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ   وأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَه حينَ أَرْكَبُ

البيت ضمَّنه على ما في قلبه تمادي مدة معاتبته وعدم تأثُّره من العتاب والتَّعنيف[١] كما قال فيه :

* وقد قَلَّ إعْتابٌ وطالَ عِتابُ *

لأَن المصراع الأَول يفيد الإخبار عن تمادي تعبه ، والثاني عن عدم تأثره .

١٢ وما الخَيْلُ إلاَّ كالصَّديقِ قَليلَةٌ   وإنْ كَثُرَتْ في عَيْنِ مَن لا يُجرِّبُ

البيت فيه ما ينوِّر ما ذكرته من مقاصده المدمجة تحت الأَبيات السابقة . انظر كيف جمع تلك الصفات التي أثبتها للأَغر من قوله : «وعَيْني إلى أُذْنَي أَغر» في هذا التشبيه بالصَّديق ، إلا أنه قال : «قليلة» تستُّرًا . وهذا الصَّديق هو الذي قال فيه :

---

[١] أمامها في هامش ر تعليقة تقول : «وقال في التعنيف ، كما سيجيء :
إني لأعذرهم مما أعنفهم   حتى أعنف نفسي فيهم وأني» . اه

* تَمنَّيْتَها لما تَمنَّيْتَ أَن تَرى صَديقاً فأَعيى ... *

لأنَّه شبَّه الصديق بالخيل في القلَّة . وقد صرّح بأن مراده من الصديق
كافور في بعض أبيات الكافوريات . وأشار بالمصراع الثاني إلى غفلته
عما في طينة كافور قبل تجربته إياه ، واغتراره بصيته الكاذب ، وفي
البيت الذي عقَّبه به ما يؤيده . وظهور [٤٠ آ] حال كافور له بعد
تجربته كما قال :

لَيْتَ الحَوادِثَ باعَتْني الذي[١] أَخَذَتْ
مِنِّي بحلمي الذي أَعْطَتْ وَتَجْريبي

١٣ إذا لم تُشاهِدْ غَير حُسْنِ شِياتِها وأَعْضائِها فالحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

١٤ لَحا اللهُ ذي الدُّنيا مُناخاً لراكِبٍ فَكُلُّ بَعيدِ الهَمِّ فِيها[٢] مُعَذَّبُ

في البيت ما يقوم مقام البرهان على تلك المقاصد ، لأن فيه
التصريح بوقوعه في العذاب عند كافور . ألا ترى إلى قوله : «مُناخاً
لِراكِبٍ» ؟ أليس ذلك عبارةً عن إناخته في ذُرى كافور مع ذكر سبب
وقوعه وهو كونه بعيدَ الهمم ؟ وهذه الإناخة مفسَّرة في إظهار المضمر
بقوله :

إني نَزَلْتُ بِكَذّابينَ ضَيْفُهُمُ عن القِرى وعن التَّرحالِ مَحدودُ

---

١ في ر : التي .
٢ في النسختين: فيه ، والتصحيح من نسخ الديوان .

١٥ أَلا ليتَ شِعْرِي هل أقولُ قَصيدَةً   فَلا أَشْتَكي فيها[1] ولا أَتعَتَّبُ

البيت فيه تكميل نِصاب الشاهد على أن قصائده مشحونة بالتضجّر والعتب على الممدوح ، ومما قاله في هذا الباب : ٣

إِنِّي لأَعْذرهُمْ مما[2] أُعَنِّفُهُمْ   حتَّى أُعَنِّفَ نَفْسي فِيهِمُ وأني

١٦ وبي ما يَذُودُ الشِّعْرَ عَنِّي أَقَلُّهُ   ولكنَّ قَلْبِي يا ابْنَةَ القَوْمِ قُلَّبُ

البيت فيه إظهار أنَّ عنده من الضجر[3] والمحن ما يمنعه عن إنشاد الشعر أقلُّه ، مع نداء كافور «بابنة القوم» يريد به التعريض بكثرة آبائه . ٦

١٧ وأخلاقُ كافورٍ إذا شِئْتُ مَدْحَهُ   وإنْ لم أَشَأْ، تُمْلي عليَّ وَأَكْتُبُ[4] ٩

البيت ضمَّنه ألطف المقاصد مع الهزء بأخلاقه ؛ وذلك أنه ضمَّنه ما يوهم التبرّي عن مدحه بتنزيل نفسه منزلة الكاتب فقط ، على أنه قيّده بالترديد بين مشيئة مدحه وعدمها ، وأدرج ما يكون جواباً عن السؤال الذي يتوجّه إليه . وذلك أنك تقول : عندي ما يذود [٤٠ ب] الشعر عني أقلُّه ، وها أنت في مزاولة الشعر ، فكأنه قال : أنا لست بالقائل وإنما أنا كاتبه . وأما قصده الهزء بأخلاقه فمبيّن في إظهار ١٢ ١٥

---

١ في ر : فيه .
٢ في النسختين : فيما ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٣ ك : التفجر .
٤ في النسختين : فأكتب .

المضمر بقوله :

العَبْدُ لا تَفْضُلُ أَخلاقُهُ عَن[١] فَرْجِهِ المُنْتِنِ أو ضِرْسِهِ

٣ ١٨ إذا تَرَكَ الإنسانُ أَهْلاً وَرَاءَهُ ويَمَّمَ كافورًا فما[٢] يَتَغَرَّبُ

البيت ضمَّنه تسويته كافور[٣] مع أهله بملابسة عَدِّه من النِّساء ، مع ما قصده في قوله : «فلا يتغرّب» ، من إيهام نكاح امرأة غريبة ،

٦ لأنَّ التغريب أصله في اللغة نكاح امرأة غريبة . انظر إلى دقَّة مقاصده الخفيّة وما ذلك إلا لسعة اطِّلاعه على اللغة .

١٩ فَتىً يَمْلأُ الأَفْعالَ رَأْياً وحِكْمَةً ونادِرةً[٤] أَحْيانَ[٥] يَرْضى وَيَغْضَبُ

٩ أخذ في التلاعب بأفعاله ورأيه مع ما في الرأي من نسبته إلى الخوارج بقرينة ادّعاء إملاء أفعاله بالرأي . وكذا في قوله : «وحِكْمةً» ما يدل على نسبته إلى الخوارج . وأما المصراع الثاني فإنه قُصد على روايته

١٢ «نادرة» بالنُّون الساقطة . وأما على رواية «بادرة» بالمنقوط من تحت

---

١ في النسختين : من ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٢ في النسختين : فلا ، والتصحيح من نسخ الديوان .
٣ ك : كافوراً .
٤ رواية ابن جني ، ونسخة عزام : وبادرة .
٥ رواية العكبري : أيان .

س ٥ — ٦ : من إيهام ... غريبة : في اللسان : «اغترب الرجل نكح في الغرائب ، وتزوج إلى غير أقاربه . وفي الحديث : اغتربوا ولا تضووا ، أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة فيجيء ولده ضاوياً» . اهـ .

فمعناه الكلمة العوراءُ وسرعة طربان الغضب ، فقد وصفه بأحدهما في حال الرِّضا والغضب .

٢٠ إذا ضَرَبَتْ في الحَرْبِ بِالسَّيْفِ[١] كَفُّهُ ٣
تَبَيَّنْتَ[٢] أَنَّ السَّيْفَ بالكَفِّ يَضْرِبُ

لما تعرّض في الذي قبله بذكر غضبه تولّد منه في هذا الشبيت ولفظه [٤١ آ] ومعناه قريب إلى قوله في التعريض بكونه جباناً : ٦

إذا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَيْ كَريهَةٍ فَسَيْفُكَ في كَفٍّ يُزيلُ التَّساوِيَا

كما كنى عنه بقوله :

وبِما أَثَّرَتْ صَوارِمُهُ البِيض [لهُ][٣] في جَمَاجِمِ الأَعْداءِ ٩

حيث أثبت له الفخر بمجرد التأثير والتعبير في هذا المقام ، وبما أغمد أو غير ذلك .

٢١ تَزيدُ عَطاياهُ على اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْواهُ السَّحابِ[٤] فَتَنْضَبُ ١٢

كون قصده الهجو يعلم ، بل يتضح وضوحاً لا خفاءَ معه ، من البيت الذي عقَّبه به ، لأن المصراع الثاني إذا اعتبرتَ فيه تقابل التضادّ يكون مَدْحاً ، وإذا حملته على التنظير يكون هجواً . ومما يؤيد ١٥

---

١ في العكبري : بالسيف في الحرب .
٢ ابن جني : تيقنت .
٣ له : سقطت من النسختين .
٤ في العكبري : السماء .

كون قصده الهجو ما اصطلح في السَّحاب ، لأنه كثيرًا ما يريد به كافور[١] ، منها قوله :

٣ وإني لَنَجْمٌ يَهتَدي صُحْبَتي بِه[٢] إذا حالَ مِن دونِ النُّجومِ سَحابُ

وأظهر منه ما قاله فيه :

أبا كُلِّ طيبٍ لا أبا المِسْكِ وَحْدَهُ وكُلُّ سَحَابٍ لا أخُصُّ الغَواديا

٦ وقال فيه :

ولم أرْجُ إلا أهْلَ ذاكَ ومن يُرِدْ مواطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحائِبِ يَظلِمِ

وإنما بَسَطت الكلام فيه ليتَّضح قصده .

٩ ٢٢ أبا المِسْكِ هَلْ في الكَأْسِ فَضْلٌ أنالُهُ فإني أغَنِّي منذ حينٍ[٣] وتَشْرَبُ

البيت فيه ما يقوم مقام التصريح باضمحلال عطاياه تحت المواعيد الكاذبة . والمصراع الثاني يُنادي بأعلى صوته بتمادي مدّة المواعيد ، ١٢ وأنه محروم عن الوصول إلى عطاياه .

٢٣ وَهَبْتَ على مِقْدارِ كَفَّيْ زَمانِنَا وَنَفْسِي على مِقْدارِ كَفَّيْك تَطْلُب[٤]

---

١ ك : كافوراً .

٢ في العكبري : بي صحبتي .

٣ في النسختين : مذ زمان . والتصحيح من نسخ الديوان .

٤ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : «ويمكن أن يستخرج من هذا البيت معنى آخر بمعونة استعماله الكف ، وأراد به المنع ، انه يقول : نعم وهبت على مقدار كفي الزمان ونفسي تطلب على مقدار كفيك ، على أن يكون معناه كالذي في لبيك ، يريد به الرمز إلى مقدار بخله ، كأنه يريد أن يثبت له بخلا زائداً على بخل الزمان» . اهـ .

[٤١ ب] البيت كأنه أورده في سياق الجواب عما صدر منه من المنّ عليه بذكر حصّته مما وهب له فقال : هب وَهَبْتَ على مقدار كَفَّي الزمان ، والزّمان معروفٌ بغاية البخل ، يوميءُ به إلى بخله بإفادة قلّة الموهوب . والمصراع الثاني يجعله على هذا مَسوقاً في مقام التعجُّب من استشراف نفسه إلى ما هو اللائق بسعة يده ، بعدما أيقنت بشحّه الزائد كما قال في إظهار المضمر :

تَظُنُّ ابْتِساماتي رَجاءً وَغِبْطَةً   وما أَنا إلا ضاحِكٌ من رَجائِيا

٢٤ إذا لم تُنِطْ بي ضَيْعَةً أو وِلايَةً   فَجُودُك يَكْسُوني وشُغْلُك يَسْلُبُ

البيت فيه استقلال ما منَّ عليه به بوجهٍ آخر يدلُّ على أن ما ترشَّح من جوده ليس إلاَّ مقدار الكسوة فقط ، وذلك أيضاً يَبلى ويَفنى عليه بتمادي مدة اشتغاله بمدائحه ، فيصيرُ كالعُريان المسلوب عنه لباسه . وفيه إيضاح ما في البيت الأوّل وتفسيره وتنويره على وجه لا يمكن أن يعبّر عنه بأبلغ مما فيه[1] .

٢٥ يُضاحِكُ في ذا العِيدِ كُلٌّ حَبيبه   حِذائي ، وأَبْكي مَن أُحِبُّ وَأَنْدُبُ

البيت فيه ما يشقّ قلب الحجر الأصمّ[2] فيخرج منه الماءَ ، لأنه أعلمه أنه ليس عنده شيءٌ يدفع به حزنه من لوازم أيام العيد ، وأنه يبكي في اليوم الذي يجتمع فيه الخلائق وهم يشاهدونه في تلك الحالة .

---

١ ك : بأبلغ منه .
٢ ر : الصماء .

لإفادة هذا المعنى قال :

* حِذائي وأبكي مَن أُحِبُّ وَأَنْدُبُ *

٣ أراد به سيف الدولة ليكون أوجع في قلب كافور . ومنه يُعلم أن إنشاد القصيدة صادف العيد ، وهذا العيد[1] هو العيد الذي قال فيه :

٦ عِيدٌ بأَيَّةِ حالٍ عُدْتَ يا عِيدُ بما مَضَى أم لأَمْرٍ فيه تَجْديدُ[2]

[٤٢ آ] ٢٦ أَحِنُّ إلى أَهْلِي وأَهْوَى لِقَاءهُمْ
وأَيْنَ من المُشْتاقِ عَنْقاءُ مُغْرِبُ

٩ البيت فيه إيماءٌ إلى أنه قصد بقوله :

إذا تَرَكَ الإِنْسانُ أَهْلاً وَرَاءهُ وَيَمَّمَ كافورًا فما[3] يَتَغَرَّبُ

يهزأُ به ، وإلا كان ممَّن ناقض بينَ كلاميه في قصيدة واحدة ،
١٢ خصوصاً في الذي ذكره متَّصلاً به ، لو لم يحمل على أنه يريد أن يجعل ذلك قرينة الهزاءِ لَطغى الفحوى عن السَّداد .

٢٧ فإنْ[4] لم يَكُنْ إلا أَبُو المِسْكِ أَوْ هُمُ فَإِنَّكَ أَحْلَى في فُؤادِي وَأَعْذَبُ

---

١ وهذا العيد : سقطت من ك .
٢ هذه هي رواية ابن جني ، وعزام نقلا عن نسخته المعتمدة . وفي ابن جني والعكبري : أم بأمر فيك .
٣ في النسختين : فلا والتصحيح من نسخ الديوان ، وانظر الحاشية (٢) ص ١٣٧ .
٤ في النسختين : ولو ؛ والتصحيح من نسخ الديوان .

فيه ما يؤيد قصده التسوية بين كافور وبين[١] أهله ، مع نوع من الرمز إلى قبح صورة أهله أيضاً .

٢٨ وكلُّ امْرِئٍ يُولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ   وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ   ٣

البيت معناه على ما هو عليه في نفس الأمر مسلَّم لا شك فيه ، إلا أنه قصد به التعريض بعكس ما ادَّعاه هنا بالغرض ، لأنَّه بيَّن في إظهار المضمر كلَّ واحد من «إيلاء الجميل» ، و «إنبات العزّ» . أما الجميل فقد قال فيه :   ٦

وذاكَ أنَّ الفُحولَ البِيضَ[٢] عاجِزَةٌ   عن الجَميلِ فكيفَ الخِصْيَةُ السُّودُ

وأما إثبات العزّ فقد قال فيه :   ٩

* عَنْ[٣] مَنْبِتِ العُشْبِ[٤] تَبْغي مَنْبِتَ الكَرمِ *

٢٩ يُريدُ بكَ الحُسَّادُ ما اللهُ دافِعٌ   وسُمْرُ العَوَالي والحديدُ المُذَرَّبُ

الدفع إذا لم يقيَّد «بعن» يحتمل أن يكون معناه الدفع عليه .   ١٢
ألا ترى إلى قوله تعالى : «إنَّ اللهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذينَ آمَنُوا» (الحج ٣٨) فكأنه يقول : إنَّ حسَّادك يبتغون أن يبتليك الله ببلاء وهم غافلون يطلبون تحصيل الحاصل .   ١٥

---

١ بين : سقطت من ك .
٢ في ر : فحول البيض .
٣ في النسختين : من .
٤ ك : العز ، وقد حرف الرواية في ك لتلائم غرضه ، ولفظة «العز» لم ترد في أية رواية .

٣٠ ودُونَ الذي يَبْغونَ ما لو تَخَلَّصوا إلى الشَّيْبِ منه عِشْتَ والطِّفْلُ أَشْيَبُ

يقول في قلبه : إن الذي يبغونه[1] حسّادك ، وهو زوال يدك عنهم بأن تهلك ، ليس بشيء ، وإنما الداهية الكبرى فيك أن [٤٢ ب] تعيش وتكون أيّامك من أيام القيامة التي قال الله عزَّ وجل فيها : «يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيباً» (المزمل ١٧) على أن يعتبر في «عشْت» تأويل الفعل بالمصدر ويجعله في مقابلة ما يبغي الحُسَّاد من هلاكه . ويقدِّر في «لو تخلَّصوا» مفعولاً . ورمز إلى هذا المعنى بقوله :

أَتَلْتَمِسُ الأَعْداءُ بعدَ الذي[2] رَأَتْ قِيامَ دَليلٍ أَو وُضُوحَ بَيان
رَأَتْ كُلَّ مَن يَنْوي لكَ الغَدْرَ يُبْتَلى بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمــانِ

لأنه قصد بغدر الحياة رويتهم تسلطنه عليهم ، وبغدر الزمان ، الزمان الذي ساعد له في ذلك كما قال :

وما كُنتَ ممن أَدْرَكَ المُلْكَ بالمنى ولكنْ بأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّواصِيا

وهذا المعنى هو الذي أراده هنا بقوله : «عِشْتَ والطِّفْلُ أَشْيَبُ» .

٣١ إذا طَلَبُوا جَدْواكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا وإنْ طَلَبوا الفَضْلَ الذي فيكَ خُيِّبوا

يقول في قلبه : إذا طلبوا إحسانك أُعطوا بالوعد ومُنعوا عن النَّيل .

---

١ كذا في النسختين .
٢ رواية ابن جني : التي .
٣ في ك : هو الذي أراد بقوله هنا .

وفي المصراع الثاني يتلاعب بمِشفره الذي اصطلح فيه بالفضل ، يعني أنهم إذا طلبوا ذلك منك[1] خُيِّبوا ، أي حُرِموا ، لأَنه مما لا يمكن قطعه وإلحاقه بهم . ٣

٣٢ ولو جَازَ أَنْ يَحْوُوا عُلاكَ وَهَبْتَها   ولكنْ منَ الأَشياءِ ما ليسَ يُوهَب

البيت فيه علاوة في التلاعب بِشُحِّه وبخله وخسَّته ، لأَنه ضمن كلامه ما يلوّح إلى ما هو كالمثل المشهور في الأَخسَّاءِ ، وذلك أَنهم ٦ إذا [٤٣ آ] أَرادوا وصفه بكمال الخسَّةِ يقولون[2] : يعطي رأْسه ولا يُعطي ماله ، ولهذا كنى عن رأْسه «بعُلاك» ، وإن حمل العلا بمعنى سلطنته كما في قوله : «ولله سر في عُلاك» ، لا يَفوت هجوه ٩ بالخسّة والبخل أيضاً .

٣٣ وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ[3] من باتَ حاسِدًا   لمن باتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلَّبُ

بعد ما بيّن كمال حسنه أخذ يذمّ من يحسد فيما يُوليه ، مع قلته ١٢ ونهاية تدرته ، ولذلك عبّر عنه بأَنهم أَظلم أَهل الظلم ، وأَيضاً أَراد «بالتقلُّب» تقلب الاضطراب والبكاء الذي بيّنه بقوله :

ماذا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُها   أَني بما أَنا بَاكٍ مِنهُ مَحْسُودُ ١٥

وقال فيه :

---

١ في ك : منك ذلك .

٢ في ك : يقولوا .

٣ في رواية ابن جني : الأَرض .

قَلِيلٌ عائِدِي ، سَقِمٌ فُؤادي   كَثيرٌ حاسِدي ، صَعْبٌ مَرامِي

٣٤ وأنْتَ الذي رَبَّيْتَ ذا المُلْكِ مُرْضَعاً
وليسَ له أمٌّ سِوَاكَ[1] ولا أبُ

أخذ يتلاعب بِعَدِّه من النساءِ المرضِعة ، مع الإيماء إلى يتم الملك وأن الملك يتيم من الجانبين لكونه غير صالح لأن يكون أباً ولا أمّاً كما قال :

• لا في الرِّجالِ ولا النِّسْوانِ مَعْدُودُ •

٣٥ وكُنْتَ له لَيْثَ العَرِينِ لِشِبْلِهِ   وما لَكَ إلاَّ الهُنْدُوانِيَّ مِخْلَبُ

القصد الذي أدمجه فيه يعرف من اصطلاحه في اللَّيْث ، عندما يطلقه عليه ، وقد أثبت له مِخلباً ليرشح بذلك .

٣٦ لَقيتَ القَنا عنه بِنَفْس كَريمَةٍ[2]
إلى الموتِ في الهَيْجا مِنَ العَارِ تَهْرُبُ

لما ذكر الهرب ، وإن حسَّنه بأنَّ هربه إلى الموت من العار اللاحق من الجبن ، إلا أنَّ في كلامه ما يحتمل أن يقول تَهْرُبُ إلى الموت من العار عن قبح صورتك ، ويحتمل أنه قصد به الرمز إلى كمال جبنه كما يقال في حقٍّ من إذا أرادوا وصفه بذلك يقولوا[3] يهرب في جبنه

١ في العكبري : هناك .
٢ في النسختين : أبية .
٣ كذا في النسختين .

إلى أن يموت .

٣٧ وقد يتْرُكُ النَّفْسَ التي لا تَهابُهُ ويَخْتَرِمُ النَّفْسَ التي تَتَهَيَّبُ

[٤٣ ب] البيت ضمَّنه سبب نجاته عن الموت بعدما شقَّ ودخل ٣
في عينه . يريد به ما قال فيه :

أَضْرَتْ شَجاعَتُهُ أَقْصى كَتَائِبِهِ على الحِمامِ فما موْتٌ بِمَرْهوبِ[1]

٣٨ وما عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأْساً وشِدَّةً ولكنَّ مَن لاقَوْا أَشَدُّ وَأَنْجبُ ٦

البيت ظاهره تأكيد شجاعته بأن الذين صادموه ما كانوا ضعفاء
جبناء ، ولكن أنت كنت أشد منهم فصرفتهم عنك وبقيت حيّاً .
وأما في باطنه فإنه قصد به مهارته في الهرب وشدة عَدْوه بحيث لا ٩
يلحقه أحد ، فإن الشدّ سرعة الجري ، وإليه أشار بقوله «تهرب»
أولًا وكذا «أنجبُ» لأن النجب[2] السير السريع ، كل ذلك يدلُّ على
مراده الرمز إلى شطارته في الفرار . ١٢

٣٩ ثَنَاهُمْ وَبَرْقُ البِيضِ في البَيْضِ صَادِقٌ
عَلَيْهِمْ ، وَبرْقُ البَيْضِ في البِيضِ خُلَّبُ

٤٠ سَلَلْتَ سُيوفاً عَلَّمَتْ كُلَّ خاطِبٍ على كُلِّ عُودٍ كَيْف يَدْعُو وَيَخْطُبُ ١٥

السَلُّ : سحب الشيء بلطافة خفية وذلك كالقلم في حذاقة السُراق .

---

١ في النسختين : بمهروب .
٢ في ك : النجيب .

فيقول : إنك سرقت سيوفاً كانت صفاتها كيت وكيت ، كناية به[١] عن سيوف السلطنة نسبةً إلى السرقة في الوصول إليه دون الاستئهال بالحرب . وعلى هذا المعنى يجعل قوله : «كَيْفَ يَدْعو ويَخْطُبُ» استفهاماً إنكارياً ، أي بعدما سرقت سيوف الخطباءِ فلم يبْقَ في أَيديهم سيف ، فكيف يدعون وكيف يخطبون[٢] بلا سيف .

٤١ ويُغْنيكَ عما يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ   إليكَ تَناهَى المَكْرُماتُ وتُنْسَبُ[٣]

صرّح المعري بكونه هجواً على أَسْوإِ الوجوه ، وهو الطعن في نسبه . يعني أَنك عبد غير معروف النسب . وكذا الواحدي ذكره على هذا الأُسلوب . والعجب من شرّاح الديوان بعدما يطّلعون على أمثاله في الكافوريات وهو ينادي بأَعلى صوته في مواضع عديدة من مدائحه وهجوياته أَن الكافوريات كلها مسبوكة في قالب محتمل الضدَّين ، كيف أهملوا النظر في أَمثاله ولم يتعمّقوا [٤٤ آ] في ملاحظة مقاصده المدمجة فيها . ولكني أَظنُّ أَنَّ فيهم من تقيَّد باستخراجها ولكن لم أَقف عليه . إلا أَنني سمعت ممن أَثق به أَنه سمع من الثِّقات أن عدد

---

١ به : سقطت من ك .

٢ في ر : يدعوا ... يخطبوا ؛ وفي ك : يدعون لك .

٣ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : «وفي عبارته ما يحتمل أن يجعل فاعل تناهى ، المكر ، ويجعل مات ، وتنسب على معنى مات صاحب السيوف وأنت تنسب إليه وصرت كأنك ابنه ووريث الملك . إشارة إلى حيلته ومكره في الوصول إلى السلطنة» . اه .

س ٥ : وكذا الواحدي ... : انظر هامش ص ١٢٩ .

شروحه بلغ إلى مائة وعشرين في الشَّرق والغرب . وفي البيت ما يدلُّ على أن مقصوده من البيت الذي قبله الرمز إلى سرقته .

٤٢ وأيُّ قَبيلٍ يَسْتَحِقُّكَ قَدْرُهُ   معدُّ بنُ عَدْنانٍ فِداكَ وَيَعْرُبُ   ٣

قال أبو الفتح : يقول : أي أسرةٍ تستحق أن تنسب إليها وأنت فوق كل أحد . أقول : يكفي في ذلك ترجيحه كافور على معدّ بن عدنان .   ٦

٤٣ وما طَرَبي لما رَأَيْتُكَ بِدْعَةً   لقد كُنْتُ أَرْجو أن أراكَ فَأَطْرَبُ

يقول في قلبه : لأي شيء أطرب بعد أن رأيتك بدعةً لا يشبهك أحد في ظاهره وباطنه . ويجعل المصراع الثاني حينئذٍ تحسّرًا وتحزُّناً   ٩ على ما كان يرجو أن يراه وينسَرّ . وقول ابن جني للمتنبي : جعلت الرجل أبا زنة ، وضحك المتنبي عنه ، فشجع المعرّي فقال : هذا وإن كان ظاهره مَدحاً فإن باطنه إلى الهزءِ أقرب . والذي جعله قرينة   ١٢ التحسر أنه قال : «لقد كُنْتُ» ، إذْ لولا ذلك لقال : وقد كنت . فتأمّل بين الواو واللام يظهر لك ذلك .

٤٤ وَتَعْذِلُني فيكَ القَوافي وهِمَّتي   كأَني بِمَدْحٍ قبلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ[١]   ١٥

---

١ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : «وهذه القوافي يجوز أن يكون ما قاله : تحت العجاج قوافيها مضمرة» وإن استعملها في هجوه لأنه يقول : وإن كان بالإنشاد هجوك غالياً» . اهـ .

س ١٠ : وقول ابن جني ... : قال ابن جني في شرحه لهذا البيت : «لما قرأت عليه هذا البيت قلت له : أجعلت الرجل أبا زنة فضحك لذلك» (الفسر ١ : ١٠٧) . وقد نقل عنه هذا الكلام الواحدي والعكبري . وأبو زنة كنية القرد .

قال أبو الفتح : المصراع الأول هجو صريح لولا أنه ستره بالمصراع الثاني . قلت : الهجو باقٍ على أبلغ ما يكون لأن المصراع الثاني مَصوغ
٣ على أسلوب قوله تعالى : «وإنْ كَانُوا مِن قَبْلِ أنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسين» (الروم ٤٩) . قال الزمخشري : «إن من قبله تأكيد»؛ فيكون معنى البيت : كأني مذنب بمدحك مذنب قبل مدحك مذنب
٦ لإفادة تأكيد عذل القوافي وعذل همّته[١] .

[٤٤ب] ٤٥ ولكنَّهُ طالَ الطَّريقُ ولم أزَلْ أفَتِّشُ عن هٰذا الكَلامِ ويُنْهَبُ

ظاهره بيان الاعتذار عما أفاده ظاهر البيت الذي قبله ، وباطنه
٩ إعلام كافور كونه مُغْرَماً بالشِّعر قديماً مع إفادة إعلامه رغبة الملوك لشعره . أفاد ذلك بقوله : «وينهب» . وليكون تمهيدًا قصد به الهزء بتعرّضه للشَّرق والغرب كنايةً بهما عن سيف الدولة وكافور ، فقال :

١٢ ٤٦ فَشَرَّق حتى ليس للشَّرْقِ مَشْرِقٌ وغَرَّبَ حتى ليس لِلغَرْبِ مَغْرِبُ

٤٧ إذا قُلْتُه لم يَمْتَنِعْ من وُصولِهِ جِدارٌ مُعَلًّى أو خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

مدح آخر لشعره بصفةٍ أُخرى له ، فيه ما يفيد تحذير كافور[٢] من

---

١ أمامها في الهامش تعليقة تقول : «ومما جعله مساعداً لهذا القصد أنه قال «يمدح» ولم يقل بمدحي» .
٢ في ك : فيه ما يفيد كافور تحذيره .

س ١ : قال أبو الفتح ... : جاء في الفسر ، تعليقاً على هذا البيت : «هجو صريح لولا أنه تستر منه بالمصراع الأخير» .
س ٤ : قال الزمخشري ... : قال الزمخشري في الكشاف (٢ : ١٩٣) «من قبله : من باب التكرير والتوكيد» .

هجوه بذكر خاصّةٍ من خواصِّه ، وذلك أنَّه لا يمكن التحصّن منه ، ولا يمنع عن وصوله إلى أهل المدر والوبر جدارٌ معلًّى أو خِباءٌ مطنَّب .

وقال يذكر خروج العُقَيْلي ومخالفته لكافور ومسيره إلى دمشق وكونه مقتولًا هناك . وطلب الأَسود أبا الطيب ذكره فقال وأنشدها يوم السبت لستٍّ خلَوْنَ من جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين وثلثمائة . ٣

١ عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسانٍ ولو[١] كانَ من أَعدائِكَ القَمَران

قال المعري : وقد صرف هذا المعنى إلى الذم كأنه قال : أنت ساقط رذل ومن كان كذلك لا يعاديه إلا مثله ، فلو عاداك القمران ٦ لكانا مذمومين لمشاحتهما إياك . هذا ظاهر لا شكَّ فيه وقد وقع لي التوارد في هذا المعنى قبل أن أراه . والقرينة فيه وفي أمثاله أنَّ مِن دأبِه في الكافوريات اختراع مضامين أبياته [٤٥ آ] من الظلمة والنور ٩ والسَّواد والبياض ، ثم لا يبعد أن يريد بالقمرين الفاتك والشبيب لذلك المعنى أيضاً .

---

١ في النسختين : وإن . وأخذنا رواية نسخ الديوان .

س ٣ : ذكر الواحدي السنة وذكر عزام اليوم والتاريخ دون السنة وأتى بتفصيلات في المناسبة وردت في شرح المعري باختلاف يسير .

س ٤ : قال المعري ... : كلامه شبيه بقول ابن جني إذ جاء في الفسر تعليقاً على هذا البيت : « وهذا مدح كما تراه وقد يمكن أن ينقل هجاء فكأنه قال : أنت ساقط رذل والساقط لا يضاهيه ويعاديه إلا مثله ، فإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان كما أنك كذلك ولو عاداك الشمس والقمر لسقطا بمساجلتهما إياك » . اهـ .

٢ ولله سِرٌّ في عُلاكَ وَإنَّما كلامُ العِدى ضَرْبٌ[١] مِنَ الهَذَيانِ

قال المعرّي : السرّ الذي ذكره هاهنا يريد به قوله :

جازَ الأُولى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ فَعُرِّفوا بكَ أن الكَلْبَ فَوْقَهُمُ ٣

أقول : وفيه إسماع كافور أن له أعداءً يبحثون عن ذلك ، وأنه هو الذي يعرف السرّ على أصله مع إفادة مضمون ما يقال : سبَّك من بلَّغك . ٦

٣ أتَلْتَمِسُ الأَعداءُ بعدَالتي[٢] رأَتْ قِيامَ دَلِيلٍ أو وُضُوحَ بَيَانِ

يقول في قلبه : أتلتمس أعداؤك بعد ما شاهدوا أجلى البراهين التي هي المشاهدات والوجدانيات ، كما فسَّره بقوله : «رَأَتْ» في ٩ البيت الذي عقَّبه به ، على أن يجعل «رأتْ» الذي فيه بدلاً من «رَأَتْ» هذه . لأنه أشار إلى الوجدانيات بقوله : «بِغَدرِ حَياةٍ» ، وذلك أنهم صاروا مقهورين تحت يد عبد مثلِه وهم أحرار . وغدر ١٢ الزمان حيث عاشوا إلى زمن ساعد كافور في أن يكون سلطاناً يَستعبد الأَحرار ، وقد جرَّ إلى نفسه منه حصة حيث قال في إظهار المضمر :

ما كُنْتُ أَحْسَبُني أَحْيَا إلى زَمَنٍ يُسيءُ بي فيه كَلْبٌ وهو مَحْمُودُ ١٥

والذي «بِغَدْرِ زَمانٍ» في الذي بعده ، هو الزَّمان الذي قال فيه : «أَحْيَا إلى زمن» .

---

١ في النسختين : نوع ، وأخذنا برواية نسخ الديوان .

٢ في ص ١٤٨ : الذي ، والتي هي رواية ابن جني .

٤ رَأَتْ كُلَّ من يَنْوِي لكَ الغَدْرَ يُبْتَلى بِغَدْرِ حَياةٍ أَو بِغَدْرِ زَمانِ

٥ بِرَغْمِ شَبيبٍ فارَقَ السَّيفَ كَفُّهُ وكانا على العِلاّتِ يَصْطَحِبانِ

٣ شروع في تمشية مقاصده في هذه القصيدة من مدح شبيب وذمٍّ كافور تماماً ، من حيث لا يشعر ، كما ستقف عليه في تضاعيف أبياتها .

٦ ٦ كأَنَّ رِقابَ النَّاسِ قالت لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وأَنْتَ يَمَـاني

خلاصة معنى[1] البيت ، على ما في قلبه ، بيان شجاعة شبيب وكثرة قتلى سيفه ، فإنه أثبت لسقوط سيفه من يده رُقْيَةً على لسان رِقاب ٩ القتلى ، ففارق سيفه كفَّه كأَنه يقول : ولولا ذلك لاستأْصل المقاتلين المقابلين له .

٨ وما كانَ إلا النَّارَ في كُلِّ مَوْطِنٍ[2] يُثيرُ غُبارًا في مَكانِ دُخَـانِ

١٢ البيت ضمّن ظاهره ما يدلُّ على أنه كان شرًّا محضاً خلصت الناس من شرّه ، مع إفادة أنه كان في الشجاعة مثل النار لا يقاومه شيءٌ وأنه كان في مواطن الحرب نارًا تخالف النار الحقيقية التي[3] تثير دخاناً ، ١٥ وهذه النار كانت تثير[4] غبارًا . ففيه ما يؤكد المعنى الذي قصده

---

١ في ك : ما في .
٢ موطن : رواية ابن جني ، وفي سائر نسخ الديوان : موضع .
٣ في ر : يخالف النار الحقيقي الذي تثير .
٤ ر : وهذا النار كان يثير .

في البيت الذي قبله من مدحه بكمال الشجاعة .

٧ فَإِنْ يَكُ إنساناً مَضى لِسَبِيلِهِ فإنَّ المنايا غَايَةُ الحَيَوانِ

البيت فيه ما يشعر التحزُّن عليه والعذر من موته مع ما يفيد إعلام كافور أنه أيضاً ، فمن غايته المنيَّة فلا يفتخر بموته . ولا يخلو من الإيماء إلى أنه مات حتفَ أنفه لا بقتلك ، فلا تفرح منه ولا تفتخر به

٩ فَنَالَ حَياةً يَشْتَهِيهَا عَـدُوُّهُ ومَوْتاً يُشَهِّي الموْتَ كُلَّ جَبانِ[١]

[٤٦ آ] البيت صريح في تأكيد أنه مات حتف أنفه من غير حرب . يفهم ذلك من المصراع الثاني لأن الجبان يشتهي أن يموت من غير أن يشهد عرصة الحرب .

١٠ نَفَى وَقْعَ أَطْرافِ الرِّماحِ بِرُمْحِهِ ولم يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ والدَّبَرانِ

البيت من تتمَّة بيان شجاعته وتبرئته من القتل على يد كافور حيث أضافه إلى وقع النجم ، على أنه ادعى له عدم الخشية من وقعه أي أصابته [. . . . .][٢] على غفلةٍ منه كما صرّح في ما عقبه لغفلته حيث قال :

١١ ولم يَدْرِ أَنَّ الموْتَ فَوقَ شَوَاتِهِ[٣] معارُ جَنَاحَيْ[٤] مُحْسِنِ الطَّيَرانِ

---

١ لاحظ اختلاف الترتيب في الأبيات الثلاثة السابقة عنده .

٢ بياض في ر بمقدار أربع كلمات أشار إليه ناسخها ، وتجاوزه ناسخ ك .

٣ في النسختين : شيانه .

٤ في النسخ : جناح ، وأشار عزام في هامشه إلى رواية المؤلف .

بغضه لكافور ومحبّته لشبيب لا يساعده[1] أن ينفكَّ من مدحه ونفي نسبة قتله إلى كافور وتبعيده عنه ، حتى في ما أضاف قتله إليه في البيت الذي بعده ساقه على وجه لوّح فيه إلى كونه من النساءِ ، وأن قتله اتفق على يد مثله من النساءِ كما هو المشهور في سبب قتله .

١٢ وقد قَتَلَ الأَقْرانَ حتى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ في أَذَلِّ مَكَانِ

فإنه وإن أضاف فيه قَتلَ شجيعٍ قد قَتَلَ الأَقرانَ إلى كافور في الظاهر ، إلا أنه سلب ذلك عنه بإضافته إلى أضعفِ قِرن ، وهي المرأة التي ألقت على رأسه حجرًا وهو في قناة دمشق . وقصد بقوله : «في أَذَلِّ مكان» تلك القناة مشيرًا به إلى أنه ما قتل في الفسحة وميدان القتال . ولا تغفل عن لطف قصده فيما خلاصته معنى قتله بأضعف قرن بالنسبة إلى كافور .

١٣ أَتَتْهُ المنايا مِنْ[2] طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ على كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيانِ

[٤٦ ب] اعتذار آخر في موته بأن المنايا أتته خفيّةً فانسدَّ عليه وعلى من حَوْلَهُ من عسكره طريق معرفة إتيانه ، يريد به الإشارة إلى كثرة ما التفّ عليه من أعداءِ كافور وطريق المعرفة السَّمع والبصر . يعني

---

١ كذا في النسختين .

٢ هذه رواية ابن جني : وفي سائر نسخ الديوان : في .

س ٧ — ٨ : المرأة ... : قال عزام في مناسبة القصيدة : «فزعموا أن امرأة دلت على رأسه صخرة ، فاختلف الناس في أمره فقال قوم: وقعت يد فرسه في قناة وقنها فثبت به ولم تتخلص يدها فسقط ... »

أنه وعسكره ما دروا ذلك ، إذ لو كانوا سمعوا أو دروا لكان الأمر عكس ما ظفِرتَ به . وبعد هذا حملته العصبيَّة إلى اختبار شيء من الإغراق في شجاعته وهو مما يُستعاذُ[١] منه فقال : ٣

١٤ ولو سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلاحِ لَرَدَّها   بِطولِ يمينٍ وَاتِّساعِ جَنانِ

لأن الذي ارتكبه في هذا البيت ادّعاءُ قدرة كاملة في ردِّه المنايا لو جاءته من طريق السلاح . وهذا ليس إلا من امتلائه بالغضب لكافور سامحه ٦ الله تعالى[٢] . وهلم جرا إلى آخر القصيدة التزم هجو كافور ومدح شبيب ، وهم في غفلة منه .

١٥ تَقَصَّدَهُ المِقْدارُ بينَ صِحَابهِ   على ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وأَمَانِ ٩

البيت لا يخلو من نوع تعريض لكافور بإرجاع قتله إلى الغيلة ، ولو ادِّعاء . ألا ترى إلى قوله : «وأمان» .

١٦ وهل يَنْفَعُ الجَيْشَ الكَثيرَ التِفافُهُ   على غيرِ مَنْصورٍ وغيرِ مُعانِ ١٢

البيت ضمَّنه إعلام كافور كثرة ما التفّ عليه من الجيش ، كما سبق ، مع إفادة التحزُّن على عدم كونه منصوراً . يفهم هذا التحسر من قوله في إظهار المضمر : ١٥

يَموتُ به غَيْظاً على الدَّهْرِ أَهْلُهُ   كما ماتَ غَيْظاً فاتِكٌ وَشَبِيبُ

وَدى[٣] ما جَنى قبلَ المبيتِ بِنَفْسِه   ولم يَدِهِ بالجَامِلِ العَكَنانِ

---

١ ك : يستفاد .

٢ سامحه الله تعالى : سقط من ك .

٣ في النسختين : دوى ، وهو تحريف .

وصف آخر لشبيب بما فيه ما يدل على نهاية الشجاعة ، وهو الإقدام على بذل المهجة خلاف ما عليه الخلائق من أنهم يدون [٤٧ آ] ٣ بالجمال والمال . وتعرّضه بذكر ما جنى للتستّر .

١٧ أَتُمْسِكُ ما أَوْلَيْتَهُ كَفُّ عاقِلٍ ويُمسكُ في كُفْرانِهِ بِعِنانِ

بعد ما بسط الكلام في مدح شبيب اندفع إلى ذمّ كافور بأَدَقّ ٦ دقائقِ الهجاءِ وأشنعه فقال البيت . يقول في قلبه : هل يجوز وهل يتصور أَن تُمسك ما أوليته كفّ عاقل – استقذارًا أَو استقلالاً . ويجعل المصراع الثاني داخلاً في حيِّز الاستفهام على معنى فيمسك في ٩ كفرانه بعنان فرسٍ يقاتلك به . وقرينة الاستقدار أَضافته الامساك إلى كف عاقل . وأما الاستقلال فقد أَفاده بقوله : «ثَنَى يَدَهُ الإحسانُ . . . البيت»

١٢ ١٩ وَيرْكَبُ ما أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ ويَرْكَبُ للعِصْيانِ ظَهْرَ حِصان

عطفه على الأول ليجرّ إليه ذلك الاستبعاد على معنى : هل يتصوّر إمكان ذلك أيضاً بما أوليته .

١٥ ٢٠ ثَنَى يَدَهُ الإحْسانُ حتى كَأَنَّها وقد قُبِضَتْ كانتْ[١] بغَيْرِ بَنانِ

يقول في قلبه : إنه لما ثَنى يده إحسانك إليه ، فلما قبض يده صارت يده كالتي لا بَنان لها ، يريد به الكناية عن أنه لم يجد في ١٨ يده شيئاً يقبض عليه فصارت يده كأنها لا بنان لها .

---

١ في النسختين : صارت .

٢١ وعِنْدَ من اليوم الوَفاءُ لِصاحِبٍ   شَبيبٌ وأوْفَى من تَرى أخوانِ

ضمَّن البيت إنكار الوفاءِ من كل أحد ، وأراد مَن يظنُّ أنه أوفى الناس نفسَ كافور ، لأن الإنسان يكون حسن الظنِّ بنفسه في الخصال الحميدة . ثم جعله أخ شبيب في عدم الوفاءِ [٤٧ ب] ليتهيَّأ له ما قصده في البيت الذي عَقِبَه[1] حيث قال :

٢٢ قَضى اللهُ يا كافورُ أنَّكَ أوَّلٌ[2]   وليس بِقاضٍ أنْ يُرَى لكَ ثاني

يقول في قلبه : إن الله عز وجل قدّر وحكم أن تكون أوحدَ الدنيا في عدمِ الوفاءِ ، ولا يقضي أن يُرى لك ثانٍ في تلك الخصلة والعصابة . قل لي بعد التأمُّل الصادق في السّباق والسّياق لو لم يكن مقصوده ما قلته فأي مناسبة بين هذا البيت وبين الذي قبله وبعده .

٢٣ فما لكَ تَخْتارُ القِسِيَّ وإنَّما   عن السَّعْدِ يَرْمي دونَكَ الثَّقَلانِ

أوْلاً : أشار بهذا الاستفهام التعجبي إلى كونه جباناً معدودًا من النساءِ كأنه يقول : أنت لست من رجاله فأيّ مناسبة بينك وبين اختيارك القسيّ ؟ ثم ستره بما ظاهره مدح وباطنه إلحاقه إلى الجان[3] بملابسة إمدادهم له لعلّة[4] الجنسية ، مع أنه ضمَّنه احتمال أن يكون

---

١ له : عقبه به .

٢ في النسختين : واحد ، وقد أتى بهذه الرواية في موضعين سابقين .

٣ ك : الجن .

٤ ك : بعلة .

المعنى أن الثقلين يحمون السعد عن نحوسك ، على أن يكون معنى «دونك» إغراء .

٣ ٢٤ وما لكَ تُعْنَى بالأَسِنَّةِ والقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ

البيت قريب إلى وادي الذي قبله ، إلا أَنَّه ضمَّنه أبدع مما في الأول بالتعريض إلى أن جَدّه ، وهو أب الأب ، من الرعاة الذين
٦ شأنهم سوق المواشي والذود بعصاً ليس لها[1] سنان . والثاني أنه لما ألحقه بالجان[2] في الذي قبله أخذ يذكر ما اشتهر الجان[3] به بإضافته إلى جَدِّه من تلك الطائفة[4] . [٤٨ آ] كل هذه المقاصد غير مستبعد[5]
٩ من المتنبي لا ينكره إلاَّ من لم يتعمق في استخراج مقاصده الخفية المدمجة في الكافوريات . ومما حَملني على ما ذكرته ما ذكروه في عنوان القصيدة التي مطلعها :

١٢ * أَحَقُّ دارٍ بأَنْ تُدْعَى مُبارَكَةً *

إن العامة قالوا لما رأَوْه هارباً ليلاً : إن الاسود أتاه من الجن فقالوا له ما قالوا .

---

١ ر : له .
٢ ، ٣ ك : الجن .
٤ في ك : باضافة جده من تلك الطائفة .
٥ ك : مستعدة .

س ١٢ : قال عزام في مناسبتها (ص ٤٥٥) نقلا عن أصوله : ومات له في دار البركة التي انتقل إليها خمسون غلاماً في أيام يسيرة ففزع وخرج هارباً منها في الليل حتى قال الناس لما رأوا هربه في الليل : جاء أسود فقال له : إن خرجت منها وإلا قتلتك ، فخرج على وجهه وحده يعدو » . اهـ .

٢٥ ولِمْ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّويلَ نِجَادُهُ   وأنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بالحَدَثانِ

البيت أيضاً من تتمة استبعاد تعاطيه لما ليس هو من رجاله . إلا أنه أبدع في جعل استغنائه عن السيف بالحَدَثان ، لأنه يريد به الحدثين ، وإن كان مقتضى العربية أن يقال : «بالحدثين» ، إلا أنه يكفيه في التلويحات ما في حروف الكلمة من الإيهام . وقد أشار إليه في إظهار المضمر بقوله :

من كُلِّ رِخْوِ وِكاءِ البَطْنِ مُنْفَتِقٍ   لا في الرِّجالِ ولا النِّسوانِ مَعْدُودُ

٢٦ أَرِدْ لي جَميلاً ، جُدْتَ أو لمْ تَجُدْ بِه
فإنَّكَ ما أحْبَبْتَ فيَّ أتاني

البيت فيه أظرف المقاصد ، أولاً : خيَّره بين أن يجود بالجميل وبين أن لا يجود ، ليعلم تساويهما عنده ، مع إيهام أنه موقن بأنه لا يجود ، وأنه قانع بمجرّد إرادته الجميل ، يريد به إظهار أن قلبه مملوء بضّده . ينوّر هذا القصد ما في المصراع الثاني فانه صريح بأن الذي وصل إليه خلاف الجميل ، إلا أنه ستره بإبراز الكلام في صورة إثبات الكرامة له ، ولهذا المعنى قال :

٢٧ لو الفَلَكُ الدَوَّارُ أبْغَضْتَ سَعْيَهُ   لعوَّقه شيءٌ من الدَّوَرانِ

[٤٨ ب] البيت ضمن ظاهره إثبات كرامة أخرى له أعظم من التي قبلها ، إلا أن باطنه إثبات كمال الجهل والنحوسة ، حيث أخبر عن أنه يجوز عند كافور أن يبغض سعي الفلك الدوّار[١] الذي قدّر الله

١ ك : الدوران .

نظامَ أحوال النشأتين في دوره وسعيه ، على أن بقاءه ووجوده أيضاً في ضمن ذلك الذي يبغضه . فهل يتصوّر هجو أبلغَ من هذا في صورة المدح . وما قاله في نحوسته فذلك مما يحيّر العقول في جسارة المتنبي وغفلة كافور عن ذلك .

٣

فإنَّكَ ما مرَّ النُّحوسُ بِكَوْكَبٍ وَقابَلْتَهُ إلا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

وكان الأسود مع قبيح[١] فعله يتطلَّعُ إلى مدحه ويقتضي أبا الطيب . ولم يكن بُدّ من مداراته مع غرضه بذلك ، فقال وأنشدها الأسود ولم يلقه بعدها : ٣

١ مُنىً كُنَّ لي أَنَّ البياضَ خِضابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ القُرونِ شَبَابُ

ضمَّن مطلع القصيدة حكايةَ ما اكتسبه لنفسه من الشَّيب ، وتسبّب في حصوله مما شاهده وابتُلي به من الغمّ والهم ، وأنَّه أُصيب بقصده كما بيّنه في إظهار المضمر بقوله : ٦

وما العِشْقُ إلاَّ غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ

٢ لَيالِيَ عندَ البِيضِ فَوْدايَ فِتْنَةٌ وَفَخْرٌ ، وذاكَ الفَخْرُ عِنْدِيَ عابُ ٩

يقول في قلبه : ربّ ليال مرّت عند البيض وكان[٢] فَوْدايَ فتنة

---

١ في ك : قبح .
٢ في ر : وكانت .

س ١ – ٣ : المناسبة بنصها هذا وردت عند عزام ، وذكر الواحدي أنه أنشده إياها في شوال سنة ٣٤٧ .

لهنَّ وفخراً للرّجال ، وكنت أعدُّها عيباً ، كأنه يتذكر تلك الليالي ويتحسَّر عليها ويندم على عدِّها عيباً . يفهم هذا من [٤٩ آ] قوله :

٣ وَكَيْفَ[1] أذمُّ اليومَ ما كنتُ أشْتَهي   وأدْعو بما أشكوه حينَ أُجابُ

البيت فيه ما يؤيِّد ندمه كأنه يقول : أنا الذي تسبَّبت في إضاعته وتحصيل ضدّه فكيف أذُم ما قد حصلته بكمال الرغبة فيه . ويعلم من تقييده الذمّ بهذا اليوم ابتلاؤُه بالغمّ والهمّ[2] عند كافور بتسبّبه .

٤ جَلا اللَّوْنَ عن لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ
كما انْجابَ عن ضَوْءِ[3] النَّهارِ ضَبَابُ

يحتمل أنْ يريد باللوْن بياض الشعر وسواده ، وأن يقصد به الكناية عن لون كافور ولون سيف الدَّولة ، يُشير به إلى أنَّ لون كافور ألجأه إلى سلوك كل مسلك في طريق النجاة من حبسه ، كما قال في إظهار المضمر :

ذَرَاني والفَلاةَ بِلا دَليلٍ   وَوَجهي والهَجيرَ بِلا لِثَام

وقال :

سَجِيَّةُ نَفْسٍ لا تَزالُ مُليحَةً   من الضَّيْمِ مَرْمِيّاً بها كُلَّ مَخْرَم

٥ وفي الجِسْمِ نَفْسٌ لا تَشيبُ بِشَيْبِهِ   ولو أنَّ ما في الوَجْهِ منهُ حِرابُ

البيت ضمَّنه الإخبار عن عدم فتور عزمه وحزمه عمَّا ظهر في وجهه

---

١ هذه هي رواية ابن جني ، وفي سائر النسخ : فكيف .
٢ ك : بالهم والغم .
٣ في العكبري : لون .

من آثار الشَّيْب الدالَّة على سقوط القوّة وفتور العزم .

٦ لها ظُفُرٌ إنْ كَلَّ ظُفْرٌ أُعِدُّهُ   ونَابٌ إذا لم يَبْقَ في الفَمِ نَابُ

[٤٩ ب] البيت فيه ما يؤكد الأوّل ؛ يخبر عن صفة أُخرى لنفسه تدلُّ على قدرته على افتراس من يحاربه ، وإن لم يبقَ في فمه ناب فهو على ما هو عليه يوم شبابه .

٧ يُغَيِّرُ مِنّي الدَّهْرُ ما شَاءَ غَيرَهَا[1]   وأَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرِ وهي كَعابُ[2]

يخبر عن صفة أُخرى من صفاته ، وذلك أنَّ الدّهر وإن غيّر لون شبابه بالبياض ، لا يقدر على تغيير علوّ همَّته وشهامته . كل ذلك في قلبه إعلام كافور تعيّن سلوكه مسلك النجاة منه ، وقد نَوَّرَه بقوله :

٨ وإني لَنَجْمٌ يَهْتَدي صُحبَتي بِهِ[3]   إذا حالَ من دونِ النُّجومِ سَحابُ

البيت فيه ما هو كالتصريح بأنه عازم على الفرار منه والخلاص من مقاساة غمومه وهمومه ، مع التعريض إلى سواده بقوله : «سحاب» ، فإن له اصطلاحاً في الكناية عن كافور بالسَّحاب . وهذا الصَّحب هم الذين قال فيهم :

---

١ في النسختين : غيره .

٢ أمامه في الهامش تعليقة تقول : « ولا يبعد أنه قصد بالدهر كافور لأنه أطلق هذا اللفظ عليه في قوله :

« لنا عند هذا الدهر حق يلطه »

كناية عن أنه لا يقدر على صرفي كما عزمت عليه من الخلاص عن يده بقرينة البيت الذي عقبه به » . اه .

٣ في العكبري : تهتدي بي صحبتي .

فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا   بما لَقِينَ[١] رِضَي الأَيْسارِ بالزُّلَمِ[٢]

بِيضُ العَوارِضِ طَعَّانُونَ من لَحِقُوا   مِنَ الفَوارِسِ شَلاَّلُونَ لِلنَّعَم

٣ ٩ غَنِيٌّ عن الأَوْطانِ لا يَسْتَخِفُّنِي   إلى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنهُ إيابُ

البيت فيه إظهار أنه طاش عقله وطار صبره وغلب عليه شهامته حتى تجاسر إلى إعلان أمر السفر والفرار عنه ، ومنه يعلم صدق ما ٦ قلته في كناياته . وأنور منه ما قال في إظهار المضمر من وجه :

إذا سِرْنا عن[٣] الفُسْطاطِ يَوْماً   فَلَقِّنِيَ الفَوارِسَ وَالرِّجَالا

لِتَعْلَمَ قَدْرَ من فَارَقْتَ مِنِّي   وأَنَّكَ رُمْتَ من ضَيْمي مُحالَا

٩ ١٠ وعن ذَمَلانِ العِيسِ إنْ سامَحَتْ بهِ   وإلاَّ ففي أَكْوَارِهِنَّ عُقَابُ

البيت فيه إظهار استغنائه عن إمداد العيس وبلوغ ضجره إلى حدٍّ [٥٠ آ] يُضرب به المثل عندما ضاق الأَمر يقال : لو كان لي جناح ١٢ لطرت ونجوت . ويفهم هذا المعنى من تشبيهه نفسه بالعُقاب مع إفادة شيءٍ من خواصّ العقاب وهو الافتراس وقوة الطَّيران .

١١ وأَصْدَى فلا أُبْدي إلى الماءِ حَاجَةً   وللشَّمْسِ فَوْقَ اليَعْمَلاتِ لُعابُ[٤]

---

١ في النسختين : رضين .

٢ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : « الزلم سهم من سهام القمار ، ثم ذكر في الميمية أبياتاً في وصف الغلمة كلها في شجاعتهم ومهارتهم في أمر الحروب » . اه .

٣ في العكبري : عل .

٤ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : « الواو في وللشمس حالية ، قيد به ليفيد تصبره على الشدائد كلها » . اه .

البيت فيه إعلام توطين نفسه على كلّ شدّة ، وأنه وإن بلغ الجهد لا يظهر لكافور حاجة . وهذا هو الذي ذكره في إظهار المضمر حيث قال :

فقد أَرِدُ المِياهَ بلا دَليلٍ   سِوى عَدّي لها بَرْقَ الغَمامِ

١٢ وللسِّرِّ مِنِّي مَوضعٌ لا يَنالُهُ   نَديمٌ ولا يُفْضي إليه شَراب

البيت مبني على أساس : ومن شدة الظهور الخفاءُ ، لأنه أراد من شدة الإظهار الإخفاءُ :

١٣ ولِلْخَوْدِ مِنِّي ساعةٌ ثم بَيْنَنا   فَلاةٌ إلى غيرِ اللِقاءِ تُجابُ[1]

كنى بالخود عن كافور على اصطلاحه المبين في إظهار المضمر ؛ يخبر عن قرب زمان الفرار إفادة بقوله : «ساعة» مع ضمّ ما رتّب عليها إلى آخر البيت . ومن أعظم الشواهد لهذا القصد ما ذكره الجامع لديوانه[2] في عنوان القصيدة : «وأنشدها الأسود ولم يلقه بعد» .

١٤ وما العِشْقُ إلاّ غِرَّةٌ وطَماعَةٌ   يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَهُ فَيُصاب

البيت ضمّنه ما يفيد الإخبار عن اغتراره بصيته الكاذب ، فعشقه وطمع في ما هو تحت قدرة كافور في الظاهر فصار سبباً لكونه مصاباً .

---

١ أمامه في هامش ر تعليقة تقول : «من ذكر الفلاة وأنها إلى غير اللقاء تجاب ، فهذا مما لا يشك فيه أن مقصوده ما ذكرته ، وكذا في البيت الأول ما يلوح ذلك» . اهـ .

٢ في ك : جامع ديوانه .

١٥ وغيرُ فُؤادي للغواني رَمِيَّةٌ   وغيرُ بنَاني للزِّجاجِ[1] رِكابُ

لما ذكر في البيت الذي قبله كونه مصاباً ، وأوهم ذلك أنه مثخن
٣ لا يقدر على الحراك ، أخذ يذكر شيئاً من لوازمه وذلك كونه رميّة ،
والرميّة [٥٠ ب] هي الصّيد الذي يرمى ويصيبه السّهم فيتطلّبه الرامي
ويستيقن أنه أثخنه وأدخله تحت حرزه ، فتدارك ذلك بأنّ صاحب هذا
٦ القلب ليس مما يصير رميّةً للغواني ، يريد به تشبيه كافور ومن حوله
بالغواني ، كأنه يقول : أنا لست ممن أكون رميّة لمثلكم ، وإن كنت
مصاباً بالاغترار ، فلا تطمعوا في استبقائي عندكم . وإليه أشار بقوله :

٩ * تَرَكْنا لأَطرافِ القَنا كلَّ حاجةٍ[2] *

وعنى في المصراع الثاني بالزِّجاج الحديدَ الذي في أسفل الرّمح ،
يكني به عن كافور لعدم صلاحه للعمل المطلوب منه . ومعناه ، على
١٢ ما في قلبه ، أنه يقول : أنا لست ممن أمدحه والذي يمدح مثله غيري
كما قال :

* وَيَحْمَدُهُ مَن يفْضَحُ الحَمْدَ حَمْدُهُ *

١٥ لأنه أراد بالبنان قلمه الذي يجري مدحه عليه .

١٦ تَرَكْنَا لأَطْرَافِ القَنا كُلَّ حاجَةٍ[3]   فليسَ لنا إلاَّ بِهِنَّ لِعابُ

---

١ رواية ابن جني : للرخاخ . ورواية العكبري : للرماح .
٢ ، ٣ في ابن جني : كل لذة ، وفي الواحدي والعكبري وعزام : كل شهوة . وقد احتفظنا برواية المؤلف لأنه بنى عليها في توجيهه لمعنى البيت .

البيت ضمّنه ما يدلُّ على أنه موطن في الحضور بالوقاحة ، وفي الغيبة بالحرب ، مع من يتبعه من الفوارس ، وأنَّ شُحَّ كافور ألجأه إلى ذلك ، كما يفهم ذلك من قوله : «تركنا ...» المصراع . وأفاد بالمصراع الثاني أنَّ الحرب مع الذين يريدون ردَّه بالنسبة إليه من قبيل اللعب ، لا يبالي بهم ولا يكترث لهم[١] . وهذه الحاجة هي التي رمز إليها بقوله :

* وأَصْدَى فلا أُبْدي إلى الماء حَاجَةً *

١٧ نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَاذِرٍ[٢] قد انْقَصَفَتْ فِيهنَّ منهُ كِعابُ

الضمير للقنا ، يخبر عمّا سيقع له مع الفوارس فوق خيول تقطّعت فيهنَّ كعاب كثيرة من جنس القنا ، يشير به إلى كثرة اقتحامه الحروب [٥١ آ] مع خيوله وتدرّبه في أمر الحرب . ففيه تنوير عدّه الحرب معهم في المصراع الذي قبله منزلة اللِّعاب . وفي البيت ما يدلُّ على امتلائه من الغيظ والغضب حيث صاغ الكلام على أُسلوب استحضار الهيئة . وهذا القصد مبيّن في إظهار المضمر بقوله :

أَلا يا ليتَ شِعْرَ يَدي أَتُمْسِي تَصَرَّفُ في عِنانٍ أَوْ زِمامِ
فَرُبَّتما شَفَيْتُ غَليلَ صَدْري بِسَيْرٍ أَوْ قَنَـاةٍ أَو حُسامِ

١٨ أَعَزُّ مَكانٍ في الدُّنى سَرْجُ سابحٍ وخيرُ جَليسٍ في الزَّمانِ كِتابُ

---

١ في ر : عنهم .
٢ رواية الواحدي : حوادر أي غلاظ سمان .

البيت ضمّنه ما يدل على أنه لم ير عزًّا في صحبة كافور ، ولذلك تعيّن عنده ترك كل حاجة لأطراف القنا وطلب العزّ في سرج سابح ، وفي جعله الكتاب خير جليس نوع من التستّر .

١٩ وَبَحْرُ أبي المِسْكِ الخِضَمُّ الذي لَهُ على كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابُ

عطف قوله : «وبحر أبي المسك» على قوله «سرج سابح» الذي عدّه أعزّ مكان ، يعلم منه استغراقه في هموم النّدم بقرينة عدم صلاحيّة البحر لأن يكون أعزّ مكان .

٢٠ تَجاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حتّى كأنَّهُ بأَحْسَنِ ما يُثْنَى عليهِ يُعابُ

لمّح به إلى ما هو كالمثل المشهور في هذا الباب ، وهو قولهم : الشيءُ إذا جاوز حدّه انعكس ضدّه ، هذا على إرادة المدح الحقيقي . وأمّا قصده منه التلميح إلى قوله في إظهار المضمر :

وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِه الكَرْكَدنَّ بينَ القَريضِ وبَيْنَ الرُّقَى
فما كانَ ذلكَ مَدْحاً لَهُ ولكنَّه كانَ هَجْوَ الوَرَى

٢١ وغَالَبَهُ الأَعْداءُ ثم عَنَوْا لَهُ كما غَالَبَتْ بِيضَ السُّيوفِ رِقابُ

[٥١ ب] أدمج الهجو في ضمن التشبيه الذي ذكره في المصراع الثاني بادِّعاءِ المغالبة بين السيوف البيض وبين الرِّقاب السود . أفاد ذلك بذكر البيض عند المغالبة .

٢٢ وأَكْثَرُ ما تَلْقَى أَبا المِسْكِ بِذْلَةً إذا لم يَصُنْ إلاّ الحَديدَ ثِياب

البيت ضمَّنه أظرف المقاصد لأنه يريد أن يصفه بكمال الشحّ ، إما على أن يكون معنى «بذلة» عرياناً فظاهر . وكذا إذا كان معناه بثياب البِذلة . والقرينة تفيد نلك الحالة بما في المصراع الثاني من ادعاء حصر صون الحديد على الثياب ، وذلك محال عادة . وإنما أراد بالحديد كافور ليبسه وخِسَّتِهِ . وفيه ما يدلُّ على كمال شحّه من وجه آخر ، وذلك أنه يبذل مهجته وينزل بذلةً مع علمه أنه لا يصونه من الموت إلا الثياب ، إن صانه .

٢٣ وَأَوْسَعُ ما تَلْقاهُ صَدْرًا وخَلْفَهُ   دِماءٌ وَطَعْنٌ والأَمامَ ضِرابُ

كان الظاهر أن يقول في مقام التثبّت : وأثبت ما تلقاه صدرًا وحوله ... فلما عدل عنه إلى ما ترى عُلم أنه أراد أن يثبت له أفحش المقاصد . ولا يبعد منه الرمز بقوله : «وخلفه» إلى أنه ممن يولي دبره في الزّحف . ثم ضمَّن المصراع الثاني ما يومئُ إلى التهمة المشهورة في الخصيان . وجعل قرينة ذلك قوله : « والأَمامَ ضِراب » ، لأن الضِّراب أصله في ضراب [٥٢ آ] الفحل ، عنى به ما عدَّه الحكماءُ في علاج العنِّين والمخنَّث من مشاهدتهم الضِّراب قدَّامهم لينشطوا به . ومن الشواهد الدالَّة لما ذكرته اعتباره في البيت مراعاة النظير في ألفاظ البيت تماماً .

٢٤ وَأَنْفَذُ ما تَلْقَاهُ حُكْماً إذا قَضَى   قَضَاءٌ مُلُوكُ الأَرْضِ مِنهُ غِضَابُ

---

١ في ك : وإن صانها .

البيت ضمَّنه قدح كافور ومن حوله ومن أطاعه لوصفه بشيء يجر المعنى إلى تجهيله وبُطلان حكمه وتجهيل عسكره ، بل إلى وصفهم
٣ بعدم التديّن بدين من الأديان ، لأنه ادَّعى أنَّ كون قضائه أنفذ إنما يكون إذا كان قضاء يغضب منه ملوك الأرض جميعاً ، المسلم والكافر منهم ، وهذا ظاهر من فحوى سبكه ، لا يخفى إلا على من لم يكن
٦ عنده شعور لشعره .

٢٥ يَقُودُ إليهِ طاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وإنْ[1] لم يَقُدْها نائِلٌ وعِقابُ

البيت ضمَّنه الهزء به وبمن أطاعه مع زيادة في تجهيلهم وتضليلهم
٩ بما أفادد بالمصراع الثاني من أنه ليس في كافور ما يصلح أن يكون من أسباب الإطاعة[2] ، لأن ذلك إما بالإحسان أو القدرة على العقاب ، وكلاهما منتفٍ عنه . وأما إضافته قودهم إلى فضله فهو مبنيٌّ على
١٢ اصطلاحه في فضله حين يسند الانقياد إليه ، وقد بيَّنته عند قوله :

فَبِهٰذا ومِثْلِهِ سُدْتَ يا كا فورُ واقْتَدْتَ كُلَّ صَعْبِ القِيادِ

فراجعه .

١٥ ٢٦ أيا أَسَدًا في جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وكم أُسُدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلابُ

البيت ضمَّنه إلحاق كافور بالكلاب ، لأنه أولاً جعله أسدًا ثم جعل روحه الذي في جسمه روح أسد أيضاً ، ثم قال : «وكم أُسُدٍ

---

[1] في نسخ الديوان – ما عدا عزام – «وإن لم» .
[2] في ك : الطاعة .

أَرْوَاحُهُنَّ [٥٢ ب] كِلابُ» ، فكأنه يقول : وأنت منهم . والشرّاح يتكلفون في الحمل على المدح لاستبعادهم منه ذلك ، وهو ليس ممن يظنون أنه لا يتجاسر على مثله ، ولا يرجعون إلى ما التزمه في إظهار المضمر من ذكره ضدّ كل وصف وصفه به في المديح . وأما تعريضه هنا بالكلب ، فقد صرّح به في مواضع منها قوله :

ما كُنْتُ أَحْسَبُني أَحْيا إلى زَمَنٍ   يُسيءُ بي فيه كَلْبٌ وهو مَحْمودُ

ومنها قوله :

* فَعُرِّفوا بكَ أَنَّ الكَلْبَ فَوْقَهُمُ *

٢٧ ويا آخِذًا مِن دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ   ومِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهابُ

جعل في ضمن البيت ما يدلُّ على أن في مساعدة الدهر لكون كافور سلطاناً يستعبد الأحرار أخذ الانتقام من زمانه ، مع الإشارة إلى كونه عبدًا لما في ذكر أخذ الحقّ وإعطائه ما يدلُّ على القيمة . وكذا في المصراع الثاني إيهام أنه قبيح المنظر يهابه من اشتراه ويندم بعدما نقد قيمته .

٢٨ لَنا عندَ هذا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ   وقد قَلَّ إعْتَابٌ وطالَ عِتابُ

البيت ضمَّنه الشكاية عن الدَّهر الذي يماطله بالمواعيد الكاذبة ، يكني به عن كافور منوّرًا ذلك بحرف الإشارة . وأفاد بالمصراع الثاني قلّة تأثره من كثرة معاتبته وتعنيفه ، كما قال في إظهار المضمر :

إني لأَعْذُرُهم مما[١] أُعَنِّفُهُمْ حتى أُعَنِّفَ نَفْسِي فِيهِمُ وأَني

٢٩ وقد تُحْدِثُ الأَيَّامُ عندَكَ شِيمةً وَتَنْعَمِرُ الأَوْقاتُ وهيَ يَبابُ

٣ البيت فيه ما ينوّر أَن قصده من الذي يلطُّ هو كافور بما توقع من إحداث الأَيام فيه شيمةً غير شيمته الأُولى ، مقيدًا ذلك [٥٣ آ] بقوله : «عندَك» . هذا ظاهره ، وأَما باطنه فإنه يتوقع من الأَيام أَنْ

٦ تُحدث في كافور عكس ما أَظهر من المساعدة في كونه سُلطاناً ، وذلك أَن يندم على ما فعله فيسلب عنه ذلك فتنعمِر الأَوقات بعد أَن كانت ضائِعةً .

٩ ٣٠ ولا مَلْكَ إلا أَنتَ ، والمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ نَصْلٌ[٢] فيه وهوَ قِرابُ

يقول في قلبه : لا ملك إلا أَنت ، يعرّض بكونه عبدًا مملوكاً ، والمِلك لا صاحب له لأَنَّ العبيد لا يملكون شيئاً . وقصد بالمصراع

١٢ الثاني كون الملك مفئودًا به كما قال :

إنَّ امْرَءًا أَمَةٌ حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لَمُسْتَضامٌ سخينُ العَيْنِ مفْئُودُ

١٥ وأَنه جبان يحفظه الملك كالقِراب يحفظ النَّصل ، وهو عاجز عن حفظ الملك .

٣١ أَرى لي بِقُرْبي منْكَ عَيْناً قَريرَةً وإنْ كانَ قُرْباً بالبِعَادِ يُشَابُ

---

١ في النسختين : فيما ، والتصحيح من نسخ الديوان .

٢ في ابن جني والواحدي : سيف .

٣٢ وهلْ نافِعِي أنْ تُرْفَعُ الحُجْبُ بَيْنَنَا
وَدُونَ الذي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجابُ[١]

أخذ يظهر له قبح صنيعه معه من أنه يخدعه ويمنّيه بالتقريب في الظاهر ، والبشاشة في وجهه ، جاعلاً كلَّ ذلك تقيّةً لماله وشبيكة لاستبقائه عنده ، وأنه محروم ما يؤمّله منه لشحّه . وهذا هو الذي أفاده بقوله :

* ودونَ الذي أَمَّلْتَ منكَ حِجابُ *

وفيه ما يلوّح إلى قوله :

* لَنا عندَ هذا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ *

٣٣ أُقِلُّ سَلامي حُبَّ ما خَفَّ عنكمُ وَأَسْكُتُ كيما لا يَكونَ جوابُ

فيه إعلام كافور قلّة تثقيله بكثرة الدّخول عليه ، مع إفادة أنَّ[٢] ذلك لعلمه بخسّته وأنه لا يحبّ من يطلب منه شيئاً . والمصراع الثاني ضمنه أنه يسكت خوفاً من أن يسمع كلاماً يزيد في حزنه ويأسه [٥٣ ب]

٣٤ وفي النَّفسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتي بَيانٌ عِندَها وخِطاب

البيت ضمَّنه ما خلاصته التعريض لخسّته وشحّه وأنه عارف بالحاجات إلا أنه متجاهل لعلّة الخسَّة ، مع أن في السكوت أعظم التقاضي .

---

١ ك : سحاب ، وهو تحريف .
٢ أن : سقطت من ك .

٣٥ وما أنا بالبَاغِي على الحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوىً يُبغى عليه ثَواب

البيت ضمَّنه دفع ما أوهمه الذي قبله من عرض الحاجة والرغبة في صلته والاستشراف في إحسانه ، موهماً يأسه عنه صارفاً ذلك إلى غرض بيَّنه في البيت الذي عقَّبه به فقال :

٣٦ وما شِئْتُ إلا أنْ أدُلَّ عواذِلي على أنَّ رأيي في هَواكَ صَوابُ

البيت ضمَّنه إخبار كافور أن له عواذل في قصده كافور ، وأنهم يضلِّلونه في رأيه ذلك ، ومراده تعفير آنُوفهم فقط .

٣٧ وأُعْلِمُ قَوْماً خالَفُوني فَشَرَّقوا وغَرَّبْتُ ، إني قَدْ ظَفِرْتُ وخَابُوا

البيت ضمَّنه أيضاً[1] إعلام كافور مرمى غرضه في هواه ، وذلك ظفره على المراد في قصده كافور[2] ، وخيبة العواذل في قصد سيف الدَّولة . ففيه إظهار ما لا يتمالك كتمه وهو التلاعب بلونه لأنه كان يمكنه أن يقول :

وَأُعْلِمُ قَوْماً خالَفوني فَغَرَّبُوا وشَرَّقْتُ إني قد ظَفِرْتُ وَخابُوا

٣٨ جَرى الخُلْفُ إلاَّ فيكَ أنَّكَ وَاحِدٌ وأنَّكَ لَيْثٌ والمُلوكُ ذِئابُ

٣٩ وأنَّكَ إنْ قُويِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ ذِئاباً ولم[3] يُخْطِىء فَقالَ ذُبابُ

لقد أبدع في هذا التصحيف وفاز بالقِدْحِ المُعَلَّى من مقاصده

---

١ أيضاً : سقطت من ك .

٢ ك : كافوراً .

٣ في ابن جني : فلم .

الأعلى[١] . وذلك أنه يريد به التلميح إلى قصة الليث مع الذباب على
ما يحكى أن الليث هو العنكبوت الأسود العظيم الجثّة [٥٤ آ] له
صنعة دقيقة في صيد الذباب . ذكروا أنه إذا عاين الذباب ساقطاً لَطِىء ٣
بالأرض ويسكن جوارحه ثم جمع نفسه وأخّر الوثبة إلى وقت الغِرّة
فينطُّ عليه واحدة فيأكله ، كأنه قصد به التلميح إلى قوله :

غَزَوْتُ بها دُورَ المُلوكِ فَبَاشَرَتْ سَنَابِكُهـا هاماتِهِمْ والمَغانِيا ٦

كأنَّ الأوّل ولّد في خياله هذا المعنى .

٤٠ وإنَّ مَديح النَّاسِ حَقٌّ وبَاطِل وَمَدْحُكَ[٢] حَقٌّ ليسَ فيه كِذابُ

جعل مقابل الحقّ في المصراع الثاني الكِذاب ، ليحصّل منه أنَّ ٩
مدحك باطل فضلاً عن أن يكون فيه كذاب ، أو مدحك على هذا
الأسلوب حَقٌّ ليس فيه كذب .

٤١ إذا نِلْتُ منكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ وكُلُّ الذي فَوْقَ التُّرابِ تُرابُ ١٢

البيت فيه تمنّي الوصول إلى محبّته في ضمن إعلام كافور استواء
حصول المال وعدمه عنده ، مع إعلامه أن كافور[٣] وما جمعه وكنزه
وما يحرَص عليه من المال يكون تراباً ويحرم من الانتفاع به[٤] . ١٥

---

١ الأعلى : ليست في ك .
٢ في ك : فقدحك ، وهو تصحيف .
٣ ك : كافوراً .
٤ في ك : فيه .

ص ١ — ٥ : إلى قصة الليث ... : انظر هامش ص ٣ .

٤٢ وما كنتُ لولا أنتَ إلاَّ مُهاجِرًا　　　له كلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وَصِحِـابُ

البيت فيه إعلام كافور أنه لولا حبسه وتثبيطه عن الترحال لكان
٣ ينتزه في أطراف العالم ، وأنه ممن لا يتغرب في كل بلد يدخله لما عنده
ما يُرَغِّب لصحبته أشرافَ كل بلد . وهذا الحدّ والمنع مبيّن في إظهار
المضمر بقوله :

٦ إني نَزَلْتُ بِكَذَّابينَ ضَيْفُهُم　　　عن القِرى وعن التَّرحالِ مَحْدُودُ

٤٣ ولكنَّكَ الدُّنيا إليَّ حَبيبَةً　　　فما عنكَ لي إلاَّ إليكَ ذَهابُ

البيت ضمّنه مقاصد لطيفة ، أولاً احتمال العبارة أن يكون
٩ [٥٤ ب] قوله : «حبيبة» تعريضاً له بكونه من النساء . الثاني :
ضمّنه الإشارة إلى استيلائه على أطراف العالم ، فيشعر به خوفه من
ردّه . والثالث : وهو روح القصيدة الذي أشار إليه في مواضع عديدة ،
١٢ أنَّ ما يصل إليه من كافور يذهب أيضاً إلى كافور ، كما قال :

وإني لَفي بَحْرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُهُ　　　عَطاياكَ أرجو مَدَّها وهي مَدُّهُ

والبيت الذي عطف عليه «ولكنّك الدّنيا ...» بالاستدراك يؤكد
١٥ أنه في حبسه واستيلائه ، وفيه نوع إيماء أنه يتمنّى الخلاص منه .

ومنه التوفيق

---

١ أيضاً : سقطت من ك .

الفهارس



فهرس الكافوريات

فهرس الأبيات الشواهد من شعر المتنبي

فهرس الشواهد من غير شعر المتنبي

فهرس الأعلام والاماكن والطوائف